إشكالية تحريف عبدالله بن سعد ابن أبي سرح للنص القرآني في ضوء كتب التفسير: دراسة تحليلية نقدية

‘Abd Allah ibn Sa‘d ibn Abī Sarḥ’s Distortion of the Qur’anic Text in the light of Tafsīr Literature: A Critical Analysis

Penyelewengan Teks al-Quran oleh ‘Abd Allah ibn Sa‘d ibn Abī Sarḥ’s berdasarkan Kesusasteraan Tafsīr: Satu Analisis Kritikal

عبدالرّحمن عمر اسبيندار*

الملخّص

يهدف هذا البحث إلى دراسة إشكالية تحريف الصحابي عبدالله بن سعد ابن أبي سرح للنص القرآني بينما كان كاتبًا للوحي في ضوء كتب التفسير، وقد اتبع الباحث المنهج التاريخي القائم على النقد والتحليل، من خلال دراسة وتحليل الروايات والأخبار التي وردت في هذه المسألة في أغلب كتب التفسير، فضلًا عن اتباع منهج علماء الجرح والتعديل في دراسة الأسانيد والحكم عليها. وقد خرج البحث بجملة نتائج، يمكن إجمالها بما يأتي: نقل أغلب المفسرين روايات تؤكد قيام ابن أبي سرح بتحريف النص القرآني دون تفنيد أو تحقيق، بل تجاوز الأمر ذلك إلى إدعاء أن ذلك قد وقع بموافقة الرسول صلى الله عليه وسلم، والأغرب من ذلك أن أغلبهم قد تعامل معها وكأنها صحيحة، وبنى عليها نتائج خطيرة وعلى رأسهم الطبري، مع أن ضعفها واضح. ومنها: أن ما قاله المفسرون من نزول عدد من الآيات فيه ولا سيما من الأنعام والنحل والأنفال أو غيرها يخالف السياق العام لتلك الآيات، إذ يتضح أن ما ذكر في السياق لا ينطبق على شخص مثل ابن أبي سرح كونه تاب ورجع إلى الإسلام، فضلًا عن ضعفها. ومنها: نقل مفسرون معاصرون هذه

* دكتور بقسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم الإنسانيةجامعة زاخو، كوردستان العراق.

الروايات والأخبار الساقطة مثل الشعرواي وسيد قطب وسعيد حوى وغيرهم، في حين ردها آخرون أمثال محمد عزة دروزة ومحمد رشيد رضا وابن عاشور.

الكلمات المفتاحية: إشكالية، تحريف، عبدالله بن سعد ابن أبي سرح، النص القرآني، كتب التفسير.

Abstract

This research focuses, in the light of tafsīr literature, on the distortion of the companion ‘Abd Allah ibn Sa‘d ibn Abī Sarḥ of the Qur’anic text despite him being a scribe of the Revelation. Based on historical criticism and analysis, we examine the reports and narrations on this issue as available in many tafsīr works, by applying the methods of scholars in the science of al-jarḥ wa al-taʿdīl. The study reached numerous conclusions. Some of them are: Most Qur’anic commentators recorded reports of Ibn Abī Sarḥ’s distortion of the Qur’anic text without proper investigation into their authenticity. Some even suggested that the distortion was God Forbid consented by the Prophet (s.a.w.) himself. What is strange is that many of the commentators considered such reports authentic and came up with dangerous conclusions. The most prominent among these commentators is al-Ṭabarī. These suggestions and reports are not free from deficiencies. The suggested distortions violate the overall contextual flow of the verses from Sūrah al-Anʿām, Sūrah al-Naḥl, Sūrah al-Anfāl. It was not possible on the part of a Companion, Ibn Abī Sarḥ who had repented and returned to Islam to effect such distortions in the Qur’anic text. Some contemporary Qur’anic commentators like al-Sha‘rāwī, Sayyid Quṭb, and Sa‘īd Ḥawwa have reported such rejected claims, whilst others such as Muhammad ‘Izzat Darwazah, Muhammad Rashīd Riḍā, and Ibn ‘Āshūr have rejected them as unreliable.

Keywords: Distortion, ‘Abd Allah ibn Sa‘d ibn Abī Sarḥ, the Qur’anic Text, Tafsīr Literature.

Abstrak

Kajian ini memberi tumpuan, berdasarkan kesusasteraan tafsīr, atas penyelewengan sahabat nabi 'Abd Allah ibn Saad ibn Abe Sari mengenai teks al-Quran walaupun nama beliau berada di dalam kitab Wahyu itu. Berdasarkan kritikan sejarah dan analisis, kita meneliti laporan dan riwayat-riwayat mengenai isu ini sepertimana yang terdapat dalam pelbagai kerja tafsīr, dengan menggunakan kaedah ulama dalam ilmu al-Jari wa al-ta'dīl. Kajian ini mencapai pelbagai kesimpulan. Sesetengah daripada mereka adalah: Kebanyakan pengulas al-Quran mencatatkan laporan penyelewengan teks al-Quran oleh Ibn Abe Sari tanpa penyiasatan yang betul ke atas kesahihannya. Ada juga yang mencadangkan bahawa penyelewengan itu diperkenankan oleh Rasulullah (saw) sendiri (nauzubillah). Apa yang aneh adalah bahawa banyak pengulas

menganggap laporan tersebut sahih dan mencapai kesimpulan berbahaya. Yang paling menonjolkan di kalangan pengulas ini adalah al-Ṭabarī. Semua cadangan dan laporan tidak bebas dari kekurangan. Penyelewengan yang disyorkan melanggar aliran konteks keseluruhan ayat-ayat dari Sūrah al-Anʿām, Sūrah al-Naḥl, Sūrah al-Anfāl. Ia adalah mustahil bagi pihak sahabat, Ibn Abe Sari yang telah bertaubat dan kembali kepada Islam untuk melaksanakan penyelewengan dalam teks al-Quran. Beberapa pengulas al-Quran kontemporari seperti al-Shaʻrāwī, Sayyid Quṭb, dan Saʻīd Ḥawwa telah melaporkan tuntutan yang ditolak, manakala yang lain seperti Muhammad ʻIzzat Darwazah, Muhammad Rashīd Riḍā, dan Ibn ʻĀshūr telah menganggapnya sebagai tidak sah.

Kata Kunci: Penyelewengan, ʻAbd Allah ibn Saʻd ibn Abī Sarḥ, teks al-Qur'an, Kesusasteraan Tafsir.

المقدمة

نقل أغلب المفسرين ومن صنّف في أسباب النـــزول كالواحدي (ت468ه) والسيوطي (ت911ه) وغيرهما من تفسير الطبري (ت310ه) الروايات الضعيفة التي زعمت بأن كاتب الوحي الصحابي عبدالله بن سعد ابن أبي سرح[1] كان يحرف النص القرآني، وأنه افترى على النبي ﷺ، وأنه قال: قد أوحي إليه كما أوحي إلى النبي ﷺ، وذكروا هذه الروايات مع عدد من الآيات القرآنية. وواضح أن الطبري قد

[1] "عَبْدُ اللهِ بنُ سَعْدِ بنِ أَبِي سَرْحِ بنِ الحَارِثِ العَامِرِي، الأَمِيْرُ، قَائِدُ الجُيُوْشِ، أَبُو يَحْيَى القُرَشِيُّ، العَامِرِيُّ؛ مِنْ عَامِرِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ. هُوَ أَخُو عُثْمَانَ مِنَ الرَّضَاعَةِ. لَهُ: صُحْبَةٌ، وَرِوَايَةُ حَدِيْثٍ... وَلِيَ مِصْرَ لِعُثْمَانَ. وَقِيْلَ: شَهِدَ صِفِّيْنَ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ اعْتَزَلَ الفِتْنَةَ، وَانْزَوَى إِلَى الرَّمْلَةِ...وَهُوَ الَّذِي فَتَحَ إِفْرِيْقِيَةَ..."، ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـــ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (د. م: مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـــ،1985م)، ج33/3. ولم نتطرق إلى حياته بنوع من التفصيل لأمرين: الأول: أنه ليس هناك شيء متفق عليه عن حياته في كتب التراجم ولا سيما فيما يتعلق بتاريخ ولادته، أو إسلامه في المرة الأولى، أو ردته أو سببها، أو حتى تاريخ وفاته ومكانها. والأمر الثاني: أننا تناولنا ذلك في بحث مستقل سينشر قريبا في مجلة الدراسات الإسلامية/الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، بعنوان: (إشكاليات رافقت كيفية تناول كتب التراجم لسيرة كاتب الوحي عبدالله ابن أبي سرح، دراسة تحليلية نقدية).

نقل تلك الروايات بدوره عمن سبقه من المفسرين مثل مقاتل بن سليمان (ت150ه) المعروف بضعفه، ولكن كون الطبري من أشهر المفسرين بحيث استحق بجدارة لقب شيخ المفسرين فإن تفسيره أصبح المصدر الأشهر لمن بعده من المفسرين، وكذا أصبح أشهر من يعتمد عليه أصحاب الأهواء والمنتقدين ولا سيما من المعاصرين في مثل هذه المسائل، إذ يحتجون ببعض ما ورد في تفسيره من الآثار الضعيفة من باب إضفاء الشرعية على شبهاتهم التي يثيرونها هنا وهناك. وهذه الآيات التي ذكرها المفسرون هي الآية (93) من سورة الأنعام، والآية (110) من سورة النحل، والآية (14) من سورة المؤمنون، والآية (71) من سورة الأنفال وغيرها.

وقبل أن نذكر أقوال المفسرين في ذلك، نود الإشارة إلى أن بعض الباحثين يحاولون تبرير وجود مثل هذه الروايات الضعيفة في كتب التفسير، كون المفسرين قد فعلوا ذلك أملًا في تحقيق فائدة من ذكرها، وأنهم ما داموا قد ذكروا أسانيدها فقد برئوا من عهدته. ولكن هذا التبرير لا ينطبق على موضوع ابن أبي سرح، والأمر كما قالوا لو اكتفى المفسرون بنقل تلك الروايات سواء بأسانيدها أو بدونها، ولكن الواقع مختلف هنا كون أكثر المفسرين الذي ذكروا هذه الروايات، إن لم نقل كلهم قد تبنوا هذه الروايات، وتعاملوا معها وكأنها صحيحة ابتداءً من الطبري، ومرورًا بابن تيمية، وانتهاءً ببعض المعاصرين مثل سيد قطب والشعرواي وسعيد حوى وغيرهم، وهو ما سنوضحه في ثنايا البحث.

ما قيل في كتب التفسير عن نزول آيات من سورة الأنعام فيه

مع أن الطبري هو المشهور بنقل هذه الروايات، وأنه يعد المرجع لكل المعاصرين الذين تطرقوا إلى هذه الشبهة كونه يعد شيخًا للمفسرين بلا منازع، لكنني سأذكر أولًا ما قاله مقاتل بن سليمان (ت150ه)، ثم نأتي على ما قاله الطبري

(ت310ه) وغيره من المفسرين بخصوص نزول آيات من سورة الأنعام في ابن أبي سرح.

قال مقاتل (ت150ه): "فلا أحد أيضًا أظلم منه، نزلت في عبدالله بن سعد ابن أبي سرح الْقُرَشِيّ من بني عامر بن لؤي، وكان أخا عثمان ابن عفان من الرضاعة، كان يتكلم بالإسلام، وكتب للنبي-ﷺ- يومًا سورة النّساء، فإذا أملى عَلَيْه النَّبِيّ-ﷺ- «غفورا رحيما»، كتب «عليما حكيما، وإذا أملى عَلَيْه «سميعا بصيرا»، كتب «سميعا عليما»، فَقَالَ لقوم من المنافقين: كتبت غَيْر الَّذِي أملى عليّ، وَهُوَ ينظر إِلَيْهِ فلم يغيره، فشك عَبْد اللَّه بن سعد فِي إيمانه، فلحق بمكة كافرًا، فَقَالَ لهم: لئن كان محمد صادقًا فيما يَقُولُ لقَدْ أنزل عليّ كَمَا أنزل عَلَيْه، ولئن كان كاذبًا لقَدْ قُلْتُ كَمَا قَالَ. وإنما شك لسكوت النَّبِيّ-ﷺ-وَهُوَ ينظر إِلَيْهِ فلم يغير ذَلِكَ، وذلك أن النَّبِيّ-ﷺ-كان أميا لا يكتب"[2].

وما قاله مقاتل من أن النبي ﷺ لم يغيره كونه كان أميًا، ليس صحيحًا، إذ أن النبي ﷺ معصوم في مثل هذه المسائل المتعلقة بتبليغ الرسالة، والقرآن الكريم محفوظ من التحريف بنص القرآن نفسه، فضلًا عن ذلك فقد أجمع العلماء على تضعيف مقاتل بن سليمان، وأنه كان يضع الأحاديث:

قال ابن حجر (ت852ه): "أجمعوا على تضعيفه"[3]. وقال الذهبي (ت748ه): "هَالك، كذبه وَكِيع وَالنَّسَائِيّ"[4]. وهو: "مَتْرُوك الحَدِيث"[5]. وقال ابن

---

[2] أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت150هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1423هـ)، ج1، ص576.

[3] أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، **لسان الميزان**، تحقيق: دائرة المعرف النظامية-الهند، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، 1390ه،1971م)، ج7، ص397.

[4] محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، **المغني في الضعفاء**، تحقيق: نور الدين عتر، (د.م: د. ن. ط. ت)، ج2، ص675؛ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، **ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من**

المبارك: "مَا أَحْسَنَ تَفْسِيْرَهُ لَوْ كان ثقةً!...قَالَ البُخَارِيُّ: مُقَاتِلٌ لاَ شيء البتة. قلت (الذهبي): أجمعوا على تركه"[6]. "وقال البخاري: سكتوا عنه. وروى عباس، عن يحيى، قال: ليس حديثه بشيء"[7].

"...وقال زكريا الساجي: كذاب متروك الحديث، وقال الرازي: متروك الحديث، وقال النسائي: "الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، ومحمد بن شعبة الكصلوب بالشام"[8].

في حين نجد أن الطبري (ت310ه) قد ذكر روايات متناقضة بعضها مع البعض الآخر فضلًا عن ضعفها تؤيد تحريف ابن أبي سرح للنص القرآني، والأشنع من كل ذلك أن العملية حسب هذه الروايات كانت تتم بمعرفة النبي ﷺ وموافقته.

المجهولين وثقات فيهم لين، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، (مكة: مكتبة النهضة الحديثة، ط2، 1387هـ،1967م)، ج1، ص396؛ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت748هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط1، 1382هـ، 1963م)، ج4، ص175.

[5] أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت261هـ)، **معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم**، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، (المدينة المنورة: مكتبة الدار، ط1، 1405ه، 1985م)، ج2، ص295؛ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر ابن أبي حاتم (ت327هـ)، **الجرح والتعديل**، (حيدر آباد-بيروت: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية-دار إحياء التراث العربي، ط1، 1271هـ، 1952م)، ج8، ص354-355.

[6] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج7، ص201-202.

[7] الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج4، ص173.

[8] عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت597هـ)، **الضعفاء والمتروكون**، تحقيق: عبد الله القاضي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1406ه)، ج3، ص136-137؛ إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي سبط ابن العجمي (ت841هـ)، **الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث**، تحقيق: صبحي السامرائي، (بيروت: عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط1، 1407، 1987م)، ج1، ص260.

و لم يكتف الطبري بنقل تلك الروايات فقط، وإنما بنى عليها نتائج وكأنها صحيحة من أن ابن أبي سرح قد افترى على الله، إذ يقول: "...ولا تمانع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: إني قد قلت مثل ما قال محمد، وأنه ارتد عن إسلامه ولحق بالمشركين، فكان لا شك بذلك من قبله مفتريًا كذبًا، وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسي الكذابين، ادعيا على الله كذبًا أنه بعثهما نبيين..."[9].

وتشير هذه الروايات التي ذكرها الطبري وغيره من المفسرين[10] إلى أن سبب ردة ابن أبي سرح كان موافقة النبي ﷺ له على تغييره لبعض المقاطع، وإقراره ﷺ لفعلته المزعومة تلك، فكان النبي ﷺ يملي عليه حسب تلك الروايات

---

[9] الطبري، **جامع البيان**، ج536/11.

[10] من المفسرين الذين ذكروا هذه الروايات: علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت450ه)، **النكت والعيون تفسير الماوردي**، مراجعة وتعليق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية، د. ط. ت)، ج2، ص144؛ محمد بن الحسن الطوسي (ت460ه)، **التبيان في تفسير القرآن**، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، (د.م: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت)، ج4، ص202؛ أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية (ت542ه)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبدالسالم عبدالشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422ه، 2001م)، ج2، ص433؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، تخريج الآيات والأحاديث: أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1422ه،، 2002م)، ج3، ص66؛ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن (ت725ه)، **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنـــزيل**، ضبط وتصحيح: عبدالسلام محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1425ه، 2004م)، ج2، ص136؛ عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت875ه)، **تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود وعبدالفتاح أبو سنة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط1، 1418ه، 1997م)، ج2، ص495؛ سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت775هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419ه، 1998م)، ج8، ص288؛ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911ه)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1، 1424ه، 2003م)، ج6، ص130-132.

(عزيز حكيم)، فيكتب (غفور رحيم)، ثم يقرأ على النبي ﷺ، فيقول: "نعم، سواء"[11].

الرواية الأولى التي ذكرها الطبري:

(حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة قوله: "(ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء)[12]"، قال: نزلت في مسيلمة أخي بني عدي بن حنيفة، فيما كان يسجع ويتكهن به. (**ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله**)، نزلت في عبد الله بن سعد ابن أبي سرح، أخي بني عامر بن لؤي، كان كتب للنبي ﷺ، وكان فيما يملي "عزيز حكيم"، فيكتب "غفور رحيم"، فيغيره، ثم يقرأ عليه "كذا وكذا"، لما حوَّل، فيقول: "نعم، سواءٌ". فرجع عن الإسلام ولحق بقريش[13]، وقال لهم: لقد كان ينزل عليه "عزيز حكيم"، فأحوِّله، ثم أقرأ ما كتبت، فيقول:"نعم سواء"! ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة، إذ نزل النبي بمر)[14].

وما ذكر في الرواية أعلاه لا أصل له من الصحة، ولبيان ذلك، نقول:

أولًا: هذه الرواية تخالف أبسط المسلمات في الإسلام وهي أن النبي ﷺ لا يملك صلاحية تغيير النص القرآني، وأنه مكلف بتبليغه كما هو دون زيادة أو نقصان، فكيف بهذه الرواية لتقول: إنه ﷺ كان يقر ابن أبي سرح على التحريف.

---

[11] الطبري، **جامع البيان**، ج533/11.

[12] سورة الأنعام/93.

[13] إلى هنا نقله السيوطي عن الطبري، انظر: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، **أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول**، تحقيق: خالد عبدالفتاح شبل، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1422ه، 2002م)، ص116.

[14] الطبري، **جامع البيان**، ج11، ص533-534.

ثانيًا: فضلًا عمّا سبق فإن الرواية ضعيفة[15]، وواضح أن في سند الرواية هذه الحسين وهو (سنيد بن داود)، قال الذهبي: "سنيد بن داود المصيصي: ضعفه أبو داود"[16]. وقال في "سير أعلام النبلاء": "قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: صَدُوْقٌ. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَمْ يَكُنْ بِذَاكَ. وَقَالَ النَّسَائِيُّ: لَيْسَ بِثِقَةٍ. قُلْتُ: مَشَّاهُ النَّاسُ، وَحَمَلُوا عَنْهُ، وَمَا هُوَ بِذَاكَ الْمُتْقِنِ"[17].

"وَقَال عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبِي حَاتِم: سئل أَبِي عَنْهُ، فَقَالَ: ضعيف. وَقَال النَّسَائي: الْحُسَيْن بْن داود ليس بثقة"[18]. وذكره ابنُ حِبَّان في كتاب "الثقات""[19].

ثالثًا: فضلًا عن ذلك فإنه مرسل، والمرسل يعد من أنواع الحديث الضعيف الذي لا يحتج به. قال ابن الصلاح الشهرزوري (ت643هـ): "ثم اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف"[20]. وأضاف فيما بعد: "وما ذكرناه من سقوط

---

[15] وقد: "أخرجه سنيد في تفسيره، ومن طريقه الطبري في جامع البيان: حدثني حجاج عن ابن جريج عنه به. قلنا: وهذا الإسناد ضعيف، وفيه ثلاثة علل: الأولى: الإرسال. الثانية: ابن جريج لم يسمع من عكرمة. الثالثة: سنيد صاحب التفسير ضعيف". انظر: سليم عبدالهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، **الاستيعاب في بيان الأسباب، أول موسوعة علمية حديثية محققة في أسباب نزول آي القرآن الكريم**، (الدمام-القاهرة: دار ابن الجوزي، ط2، 1420ه)، ج2، ص148.

[16] الذهبي، **ديوان الضعفاء والمتروكين**، ج1، ص178. وانظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، **تهذيب التهذيب**، (الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326هـ)، ج4، ص24؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، (سوريا: دار الرشيد، ط1، 1406ه،1986م)، ج1، ص257.

[17] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج10، ص627؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، **طبقات الحفاظ**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403ه)، ج1، ص204.

[18] يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1400ه- 1980م)، ج12، ص164.

[19] أبو حاتم محمد بن حاتم البُستي (ت354هـ)، **الثقات**، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط1، 1393ه، 1973م)، ج8، ص304.

[20] أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح الشهرزوري (ت643هـ)، **معرفة أنواع علوم الحديث**،

الإحتجاج بالمرسل، والحكم بضعفه، هو المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث ونقاد الأثر، وقد تداولوه في تصانيفهم. وفي صدر صحيح مسلم[21]: المرسل في أصل قولنا، وقول أهل العلم بالأخبار: ليس بحجة"[22].

رابعًا: يضاف إلى ما سبق فإن ابن جريج لم يسمع من عكرمة[23]. وابن جريج معروف بالتدليس، قال الذهبي: "قُلْتُ: الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ ثِقَةٌ، حَافِظٌ، لَكِنَّهُ يُدَلِّسُ بِلَفظِةِ: عَنْ". وقال الدارقطني: "تجنب تدليس بن جريج، فإنه قبيح التدليس..."[24].

وقد نقل الذهبي في "ميزان الإعتدال" عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قوله: "قال أبي: بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة. كان ابن جريج لا يبالي من أين يأخذها -يعني قوله: أخبرت، وحدثت عن فلان"[25].

خامسًا: أما عكرمة فمختلف فيه أيضًا، ويبدو أن الأكثرية وثقوه، قال الذهبي في "ميزان الإعتدال": "عكرمة، مولى ابن عباس، أحد أوعية العلم. تكلم فيه لرأيه، لا لحفظه، فانهم برأى الخوارج. وقد وثقه جماعة، واعتمده البخاري، وأما مسلم فتجنبه، وروى له قليلًا مقرونًا بغيره، وأعرض عنه مالك، وتحايده إلا في حديث أو حديثين"[26].

ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، (سوريا-بيروت: دار الفكر-دار الفكر المعاصر، د. ط، 1406ه، 1986م)، ج1، ص53.

[21] أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت)، ج1، ص29. ونص كلام مسلم هو: "والمرسل من الروايات في أصل قولنا، وقول أهل العلم بالأخبار: ليس بحجة".

[22] ابن الصلاح، **معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح**، ج1، ص55.

[23] ينظر: عبدالهلالي-آل نصر، **الاستيعاب في بيان الأسباب**، ج2، ص148.

[24] ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ج6، ص405.

[25] ينظر: الذهبي، **ميزان الإعتدال**، ج2، ص659.

[26] الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج3، ص93.

وقال الذهبي في "المغني في الضعفاء": "وَكذبه مُجَاهِد وَابْن سِيرِين وَمَالك فَالله أعلم، وَاعْتَمدهُ البُخَارِيّ، وَأما مُسلم فروى لَهُ مَقْرُونا بآخر"[27].

وقال ابن الصلاح الشهرزوري (ت643هـ): "احتج البخاري بجماعة سبق من غيره الجرح لهم، كعكرمة مولى ابن عباس"[28].

سادسًا: الآية مكية وفي سورة مكية على الرأي الراجح. والأمر الآخر كيف يعقل أن ينزل مقطع من الآية في مسيلمة، وأمره يعود إلى نهاية عهد النبي ﷺ، ثم تنزل تكملة الآية في ابن أبي سرح!.

في حين ذكر الطبري رواية أخرى وهي ضعيفة أيضًا تشير إلى أنه كان يغير (سميعًا عليمًا) إلى (عليمًا حكيمًا)، وبالعكس، وأنه قد ارتد في بداية العهد المكي بدليل أنه وشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمي، أو لبني عبدالدار، فأخذوهم فعذبوا حتى كفروا، وجدعت أذن عمار يومئذ، وهذا يناقض ما ذكر مع الرواية الأولى بأن الآية نزلت في مسيلمة، وتكملتها في ابن أبي سرح، ونص الراوية هو:

"حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال: حدثنا أسباط، عن السدي: "ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو قال أوحي إليّ ولم يوحَ إليه شيء"[29]، إلى قوله:" تجزون عذاب الهون". قال: نزلت في عبد الله بن سعد ابن أبي سرح، أسلم، وكان يكتب للنبي ﷺ، فكان إذا أملى عليه:"سميعًا عليمًا"، كتب هو:"عليمًا حكيمًا"، وإذا قال:"عليمًا حكيمًا" كتب:"سميعًا عليمًا"[30]، فشكّ وكفر،

---

[27] الذهبي، **المغني في الضعفاء**، ج2، ص438-439.

[28] ابن الصلاح، **معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح**، ج1، ص107.

[29] سورة الأنعام/93.

[30] يقول محمد رشيد رضا: "وَهَذَا تَمْثِيلُ رِوَايَةِ السُّدِّيِّ لِمَا كَانَ يُغَيِّرُهُ مِنْ عِبَارَةِ الْوَحْيِ، وَعِبَارَةُ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ كَانَ يُمْلِي عَلَيْهِ "عَزِيزٌ حَكِيمٌ"، فَيَكْتُبُ "غَفُورٌ رَحِيمٌ"، وَهَاتَانِ الرِّوَايَتَانِ بَاطِلَتَانِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ "سَمِيعًا عَلِيمًا" وَلَا "عَلِيمًا حَكِيمًا" وَلَا "عَزِيزٌ حَكِيمٌ" إِلَّا فِي سُورَةِ لُقْمَانَ، وَالْمَرْوِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْأَنْعَامِ". ينظر: محمد رشيد بن علي رضا (ت1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (د. م:

وقال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحي إليّ، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله! قال محمد:"سميعًا عليمًا" فقلت أنا: "عليمًا حكيمًا"![31] فلحق بالمشركين، ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمي، أو لبني عبد الدار. فأخذوهم فعُذِّبوا حتى كفروا، وجُدِعت أذن عمار يومئذ. فانطلق عمار إلى النبي ﷺ فأخبره بما لقي، والذي أعطاهم من الكفر، فأبى النبي ﷺ أن يتولاه، فأنزل الله في شأن ابن أبي سرح وعمار وأصحابه: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا}"[32]، سورة النحل/106.

والرواية ضعيفة[33]، وكما هو واضح من السند فإنه من طريق أحمد بن المفضل وهو منكر الحديث، وفيه أسباط بن نصر وهو ضعيف، عن السدي وهو ضعيف أو على أقل تقدير مختلف فيه. فضلًا عن أن الحديث منقطع إذ هو معضل، والحديث المعضل يعد من أنواع الحديث الضعيف وهو ليس بحجة، قال ابن الصلاح في مقدمته: "وَهُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا سَقَطَ مِنْ إِسْنَادِهِ اثْنَانِ فَصَاعِدًا...وَمِثَالُهُ: مَا يَرْوِيهِ تَابِعِيُّ التَّابِعِيِّ قَائِلًا

الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990م)، ج7، ص520-521.

[31] ويبدو أن البلاذري قد أضاف كلمات جديدة إلى الروايات السابقة، إذ نجد عنده أن ابن أبي سرح كان يغير الظالمين إلى الكافرين نقلًا عن الواقدي، والواقدي لم يذكر ذلك"، ينظر: أحمد بن يحيى البلاذري (ت279هـ)، **فتوح البلدان**، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د. ط، 1988م)، ج1، ص454-455؛ وانظر: محمد بن عمر بن واقد السهمي (ت207هـ)، **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، (بيروت: دار الأعلمي، ط3، 1409ه، 1989م)، ج2، ص855.

[32] الطبري، **جامع البيان**، ج11، ص533؛ وينظر: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422ه،2002م)، ج4، ص170.

[33] "قلنا وهذا سند ضعيف، فيه علتان: الأولى: الإعضال، الثانية: أسباط هذا صدوق كثير الخطأ يغرب". ينظر: عبدالهلالي-آل نصر، **الاستيعاب في بيان الأسباب**، ج2، ص149.

فِيهِ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، وَكَذَلِكَ مَا يَرْوِيهِ مَنْ دُونَ تَابِعِيٍّ التَّابِعِيِّ" عَنْ رَسُولِ اللَّهِ "[34].

وأدناه ما قاله علماء الجرح والتعديل في بعض رجال السند:

أولًا: أحمد بن المفضل: "...قال الأزدي: منكر الحديث. روى عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عاصم بن ضمرة، عن علي-مرفوعًا: يا علي، إذا تقرب الناس إلى خالقهم بأنواع البر فتقرب إليه بأنواع العقل. وقال أبو حاتم: كان من رؤساء الشيعة، صدوق"[35].

ثانيًا: أسباط بن نصر: قال الذهبي: "أسباط بن نصر الهمداني...وثقه ابن معين، وتوقف أحمد، وضعفه أبو نعيم، وقال النسائي: ليس بالقوي[36].

وقال المزي (ت762هـ): "أسباط بن نصر، حرب بْن إِسْمَاعِيل، قلت لأحمد: كيف حديثه؟ قال: ما أدري. وكأنه ضعفه. وَقَال أبو بكر بْن أَبي خيثمة، عَن يحيى بْن مَعِين: ثقة. وَقَال أبو حاتم: سمعت أبا نعيم يضعف أسباط بْن نصر، وَقَال: أحاديثه عامته سقط مقلوب الأسانيد. وَقَال مُحَمَّد بْن مهران الجمال: سألت أبا نعيم عنه، فَقَالَ: لم يكن به بأس، غير أنه كان أهوج...وَقَال النَّسَائي: ليس بالقوي..."[37].

ثالثًا: أما السدي، فهو الكبير وهو مختلف فيه، ضعفه ناس ووثقه آخرون[38]، والأولى هنا الأخذ برأي المضعفين له، أما السدي الصغير فمتفق على ضعفه.

---

[34] ابن الصلاح: **معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح**، ج59/1.

[35] الذهبي: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج157/1؛ الذهبي: **المغني في الضعفاء**، ج60/1؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج81/1.

[36] الذهبي: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج175/1.

[37] المزي: **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج358/2-359.

[38] ينظر الخلاف فيه في: الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج5، ص264-265. وبدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العيني (ت855هـ)، **مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار**، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1427هـ، 2006م)، ج3، ص416.

قال ابن الصلاح الشهرزوري (ت643هـ): "إذا اجتمع في شخص جرح وتعديل، فالجرح مقدم؛ لأن المعدل يخبر عما ظهر من حاله، والجارح يخبر عن باطن خَفِيَ على المعدل، فإن كان عدد المعدلين أكثر فقد قيل التعديل أولى، والصحيح الذي عليه الجمهور أن الجرح أولى لما ذكرناه. والله أعلم"[39].

وقد أخرج ابن أبي حاتم (ت327ه) الروايات نفسها في تفسيره، فقال: "أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ الأَوْدِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ثنا أَسْبَاطٌ عَنِ السُّدِّيِّ: قَوْلَهُ: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ)[40]، قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ الْقُرَشِيِّ، أَسْلَمَ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ إِذَا أَمْلَى عَلَيْهِ سَمِيعًا عَلِيمًا كَتَبَ: عَلِيمًا حَكِيمًا، وَإِذَا قَالَ: عَلِيمًا حَكِيمًا كَتَبَ: سَمِيعًا عَلِيمًا، فَشَكَّ وَكَفَرَ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ يُوحَى إِلَيْهِ فَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ"[41].

ويقول ابن أبي حاتم (ت327ه): "حَدَّثَنَا أَبِي ثنا ابْنُ نُفَيْلٍ الْحَرَّانِيُّ ثنا مِسْكِينُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ معان رِفَاعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا خَلَفٍ الأَعْمَى قَالَ: كَانَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. الْوَحْيَ، فَأَتَى أَهْلَ مَكَّةَ فَقَالُوا: يَا ابْنَ أَبِي السَّرْحِ، كَيْفَ كَتَبْتَ لابْنِ أَبِي كَبْشَةَ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كَيْفَ شِئْتُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)"[42].

ويظهر تخبط المفسرين في حشو الروايات في التفسير في مثل هذه الحالات، إذ نجد أن ابن أبي حاتم (ت327ه) قد ذكر الرواية نفسها وبالسند نفسه في تفسيره

---

[39] ابن الصلاح: **معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح**، ج1/109-110.

[40] سورة الأنعام/93.

[41] عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر ابن أبي حاتم (ت327ه)، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419ه)، ج4، ص1346-1347.

[42] المصدر نفسه، ج4، ص1346.

للآية (17) من سورة يونس، ولكنه قال هذه المرة أن الآية (21) من سورة الأنعام نزلت فيه بدلًا من الآية (93) من السورة نفسها، أو الآية (17) من يونس والتي كان بصدد تفسيرها.

فقال في تفسير قوله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ)، سورة يونس/17. أن الآية (21) من سورة الأنعام نزلت في ابن أبي سرح. فقال: "حدثنا أبي، ثنا بن نُفَيْلٍ الْحَرَّانِيُّ ثنا مِسْكِينُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ مُعَان بْنِ رِفَاعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا خَلَفٍ الأَعْمَى قَالَ: كَانَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ، فَأَتَى أَهْلَ مَكَّةَ فَقَالُوا: يَا ابْنَ أَبِي سَرْحٍ كَيْفَ كَتَبْتَ لابْنِ أَبِي كَبْشَةَ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كَيْفَ شِئْتُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى[43]: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)"[44].

فيبدو أنه اختلطت عليه الآيات، نظرًا لتشابها، ولا سيما في بداياتها، والآيات هي:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)، الأنعام/21.

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، الأنعام/93.

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ)، يونس/17.

فضلًا عن ذلك فإن الرواية ضعيفة، وفي سندها أحمد بن المفضل وهو ضعيف، وكذا أسباط بن نصر وهو كذلك، فضلًا عن السدي، وقد سبق أن ذكرنا ما قاله

---

[43] سورة الأنعام/21.

[44] ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، ج6، ص1935.

علماء الجرح والتعديل فيهم. وفي الرواية الأخرى مسكين بن بكير وهو مختلف فيه، فضلًا عن معان بن رفاعة وهو ضعيف لين ليس بحجة، ناهيك عن خلف الأعمى وهو ضعيف ومنكر الحديث.

قال الذهبي في "المغني في الضعفاء": "مسكين بن بكير الحراني ثقة مشهور، قال أبو أحمد الحاكم: له مناكير كثيرة، وقيل: له عن شعبة مناكير، وقال أبو حاتم: صالح الحديث لا بأس به"[45].

وقال ابن حجر في "تهذيب التهذيب": "قال الأثرم: سمعت أحمد يحسن أمره، وقال مرة قدمه أبو عبد الله على مخلد بن يزيد، وقال حدث عن شعبة بأحاديث لم يروها أحد.

وقال أبو داود: سمعت أحمد يقال لا بأس به، ولكن في حديثه خطأ...

قلت: وقال أبو أحمد الحاكم: له مناكير كثيرة كذا نقلته من خط الذهبي.

والذي في "الكنى" لأبي أحمد كان كثير الوهم والخطأ. وقال في موضع آخر: ومن أين كان مسكين يضبط عن سعيد. وقال ابن شاهين في الثقات. قال عمار يقولون: إنه ثقة لم أسمع منه شيئا"[46]. وقال:"صدوق يخطىء، وكان صاحب حديث"[47].

أما أبو خلف الأعمى: فاسمه حازم بن عطاء أبو خلف الأعمى...

---

[45] الذهبي، **المغني في الضعفاء**، ج2، ص655؛ وانظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج9، ص209؛ الذهبي، **ميزان الإعتدال**، ج4، ص101.

[46] ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ج10، ص121.

[47] ابن حجر، **لسان الميزان**، ج7، ص385؛ وينظر مسألة خطأئه في حديث شعبة: يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي ابن ابن المِبْرَد الحنبلي (ت909هـ)، **بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم**، تحقيق وتعليق: روحية عبد الرحمن السويفي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ، 1992م)، ج1، ص149.

قال أبو حاتم: شيخ منكر الحديث ليس بالقوي[48].

وقال الذهبي: " ضعفوه"[49].

وقال ابن حبان: "...منكر الحديث على قلته، يأتي بالأشياء التي لا تشبه حديث الأثبات"[50].

وقال ابن حجر (ت852ه): "متروك، ورماه ابن معين بالكذب من الخامسة، ومن زعم أنه مروان الأصفر فقد وهم، ومروان أيضًا يكنى أبا خلف"[51].

أما معان بن رفاعة فقد وثقه البعض، في حين ضعفه آخرون، ويبدو أن المضعفين له أكثر.

قال ابن حبان (ت354ه): "منكر الحديث، يروى مراسيل كثيرة، ويحدث عن أقوال مجاهيل لا يشبه حديثه حديث الْأَثْبَات، فلما صار الغالب على روايته ما تنكر القلوب استحق ترك الاحتجاج به"[52].

وَقَال أبو حاتم: "شيخ حمصي يكتب حديثه، ولا يحتج به"[53].

وقال الذهبي: "وثقه ابن المديني. وقال الجوزجاني: ليس بحجة. ولينه يحيى بن معين. مات مع الأوزاعي تقريبًا. وهو صاحب حديث ليس بمتقن"[54].

---

[48] ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، ج3، ص278.

[49] الذهبي، **ميزان اللإعتدال**، ج1، ص446.

[50] علاء الدين ابن قليج بن عبد الله مغلطاي (ت762هـ)، **إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، (د. م: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 1422ه، ـ2001م)، ج3، ص337.

[51] ابن حجر، **تقريب التهذيب**، ج1، ص637؛ وانظر: ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ج12، ص87.

[52] أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت354هـ)، **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، (حلب: دار الوعي، ط1، 1396ه)، ج3، ص36.

[53] ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، ج8، ص422.

[54] الذهبي، **ميزان الإعتدال**، ج4، ص134.

قال الأزدي فيما ذكره أبو الفرج: "لا يحتج بحديثه، ولا يكتب. وذكره الدولابي وأبو العرب والساجي والعقيلي والمنتجيلي والبلخي وابن شاهين في جملة الضعفاء"[55].

وفي "تهذيب الكمال": "...قال عَباس الدُّورِيُّ عن يحيى بن مَعِين: ضعيف. وَقَال مُحَمَّد بْن عثمان بْن أَبي شَيْبَة: سئل يحيى بْن مَعِين عَنْ عُثْمَان بْن عَطَاء، ومعان بْن رفاعة، وسَعِيد بْن بشير، فقال: كل هؤلاء ضعفى. وَقَال إبراهيم بْن يعقوب السعدي: ليس بحجة. وَقَال يعقوب بْن سُفْيَان: لين الحديث...وَقَال أبو أحمد بْن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه."[56].

وذكر ابن حجر في "تهذيب التهذيب" الأقوال السابقة وأضاف إليها: "...قال الجوزجاني ليس بحجة"[57].

وقد ذكر الواحدي (ت468ه) في "أسباب النزول" برواية ضعيفة، من أن الآية نزلت فيه، فقال: أخبرنا عبد الرحمن بن عبدان قال: حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثني محمد ابن يعقوب الاموي قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: حدثني شرحبيل بن سعد قال: نزلت في عبد الله بن سعد ابن أبي سرح قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، وارتد عن الاسلام، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة أتى به عثمان رسول الله ﷺ، فاستأمن له) [58].

ولبيان ضعف ما نقله الواحدي، نقول:

---

[55] مغلطاي، **إكمال تهذيب الكمال**، ج11، ص257.

[56] المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج28، ص158-159.

[57] ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج10، ص201.

[58] علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، **أسباب النزول**، (القاهرة: دار ابن الهيثم، ط1، 1426ه، 2005م)، ص106-107.

أولًا الحديث مرسل، وقد مر أن حكم الحديث المرسل ضعيف، لا يحتج به، ولا سيما في مثل هذه المسائل الخطيرة.

ثانيًا: أن في سنده أحمد بن عبدالجبار وهو مجمع على ضعفه، فضلًا عن شرحبيل بن سعد وهو ضعيف.

قال الذهبي عن أحمد بن عبدالجبار: "ضعفه غير واحد. قال ابن عدي: رأيتهم مجمعين على ضعفه، ولا أرى له حديثًا منكرًا، إنما ضعفوه لأنه لم يلق الذين يحدث عنهم. وقال مطين: كان يكذب. وقال الدارقطني: لا بأس به، قد أثنى عليه أبو كريب، واختلف فيه شيوخنا، ولم يكن من أصحاب الحديث. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي. وقال ابنه عبد الرحمن: كتبت عنه، وأمسكت عن التحديث عنه لما تكلم الناس فيه"[59].

أما شرحبيل بن سعد فقد قال فيه الذهبي: "...عن ابن أبي ذئب، قال: كان شرحبيل بن سعد متهمًا. وقال غير واحد، عن ابن معين: ضعيف. وروى بشر بن عمر، عن مالك: ليس بثقة. وروى ابن المديني، عن سفيان: قال: لم يكن أحد أعلم بالبدريين منه. أصابته حاجة، وكانوا يخافون إذا جاء إلى الرجل يطلب منه الشيء فلم يعطه أن يقول: لم يشهد أبوك بدرًا. وقال أبو زرعة: فيه لين...وقال ابن عيينة: كان شرحبيل يفتى، ولم يكن أحد أعلم بالمغازي منه. وقال ابن سعد: بقي حتى اختلط واحتاج، ليس يحتج به. وقال النسائي: ضعيف[60]. وقال الدارقطني: ضعيف يعتبر به. وقال ابن عدي: في عامة ما يرويه إنكار، وهو إلى الضعف أقرب"[61].

---

[59] الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج1، ص112.

[60] أحمد بن شعيب النسائي (ت303هـ)، **الضعفاء والمتروكون**، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، (حلب: دار الوعي، ط1، 1396ه)، ج1، ص56.

[61] الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج2، ص266-267.

ومع ضعف هذه الروايات كما تقدم، فإن المفسرين لم يتفقوا على أن هذه الآية قد نزلت في ابن أبي سرح، إذ ذكروا أسماءً أخرى وهي ليست في محلها أيضًا، وهو ليس موضوع البحث هنا مثل مسيلمة وغيره. وقد ذكر الطبري مع الراوية السابقة وأيضًا مع روايات أخرى أن هذه الآية نزلت في مسليمة الكذاب.

في حين ذكر ابن أبي حاتم[62] وجهين في قَوْله: (أَوْ قال أوحي إليَّ و لم يوح إليه شيء)[63]، فقال:

الأول نقلًا عن قتادة: أنها نزلت في مسيلمة والأسود العنسي.

الثاني: عبدالله بن سعد ابن أبي سرح.

في حين ذكر ثلاثة وجوه في قوله تعالى: (وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مثل ما أنزل الله)[64]:

الأول: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل اللَّهُ)، قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ قَالَ مِثْلَهُ. يعني الشعر. الثاني: عن الشعبي أنه عبدالله ابن أبي سلول. الثالث: عبدالله بن سعد ابن أبي السرح.

وقد أوجز بعض المفسرين مثل الماوردي (ت450ه) وابن الجوزي (ت597هـ) الخلاف على ثلاثة أقوال، وهي حسب تعبير الماوردي[65]: أحدهما: من تقدم ذكره من مدعي الوحي والنبوة (كذاب اليمامة وكذاب صنعاء العنسي). الثاني: عبدالله بن سعد ابن أبي سرح. قاله السدي. الثالث: النضر بن الحارث لأنه عارض القرآن.

---

[62] ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، ج4، ص1347.

[63] سورة الأنعام/93.

[64] سورة الأنعام/93.

[65] الماوردي، **النكت والعيون**، ج2، ص144؛ وانظر تلك الأقوال في: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج3، ص66؛ الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ج2، ص495.

وقال الفخر الرازي: "(قَوْلُهُ: سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: المراد ما قاله النضر بن الحرث[66]، وَهُوَ قَوْلُهُ: (لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا) وَقَوْلُهُ فِي الْقُرْآنِ إِنَّهُ: (مِنْ أَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ)[67]، وَكُلُّ أَحَدٍ يُمْكِنُهُ الْإِتْيَانُ بِمِثْلِهِ، وَحَاصِلُهُ: أَنَّ هَذَا الْقَائِلَ يَدَّعِي مُعَارَضَةَ الْقُرْآنِ[68].

وهذا الأقرب كونه عرف عنه معارضته للقرآن، وأنه كان يتهم النبي ﷺ بأنه لم يأت إلا بأساطير الأولين، وأنه سخر لذلك ما عنده من إمكانات لهذا الغرض، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)، سورة الأنفال/31.

ثم سياق الآية يفيد أن هؤلاء سيلاقون مصيرًا سيئًا، وهو ما ينطبق على النضر بن الحارث وأمثاله من المشركين المفترين الذين ماتوا على الشرك، وليس على

---

[66] في أغلب الأماكن في تفسير مفاتيح الغيب للرازي يرد الاسم هكذا (الحرث) في حين نجده يأتي أيضا بالصيغة المعروفة (الحارث) في أماكن أخرى.

[67] المقصود قوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)، سورة الأنفال/31.

[68] فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت606هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420ه)، ج13، ص67. ومن المفسرين الذين ذكروا أن الآية نزلت في النضر بن الحارث على سبيل المثال لا الحصر: الماوردي، **النكت والعيون تفسير الماوردي**، ج2، ص144؛ ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص322؛ الحسن بن محمد بن حسين نظام الدين القمي النيسابوري، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ضبط وتخريج الأحاديث: زكريا عميران، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416ه، 1996م)، ج3، ص121؛ ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج8، ص288؛ محمد جمال الدين القاسمي (ت1332ه)، **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**، ضبط وتصحيح وتخريج الأحاديث: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ، 1997م)، ج4، ص432، (ولم يتطرق إلى ابن أبي سرح)؛ محمد ثناء الله العثماني المظهري (ت1225ه)، **التفسير المظهري**، ضبط وتخريج: إبراهيم شمي الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1428ه، 2007م)، ج2، ص480؛ السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ج6، ص132؛ أحمد مصطفى المراغي (ت1371ه)، **تفسير المراغي**، تخريج: باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418ه، 1998م)، ج3، ص160.

الصحابي عبدالله بن سعد ابن أبي سرح، وهذا يظهر جليًا عند قراءة الآية مع الآية التي بعدها، (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ)، الأنعام/93-94. وهذه النتيجة لا تنطبق على ما آل إليه حال الصحابي عبدالله بن سعد ابن أبي سرح، إذ أسلم وحسن إسلامه. لذا فلا يمكن أن يفهم من الآيات السابقة وسياقها أنها نزلت في ابن أبي سرح، بل أنها نزلت في المشركين الذين افتروا على الله وعلى الرسول ﷺ، وماتوا على ذلك من أمثال النضر بن الحارث وغيره.

والأغرب من كل هذا أنه نسب إلى ابن عباس في التفسير المنسوب إليه أنه قال إن الآية: {وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ اللهُ}، نزلت في ابن أبي سرح، في حين نجد أنه وحسب هذا التفسير يفسر الكلمة التي تأتي بعد هذه وهي: (ولو ترى إذ الظالمون...)، بأنهم المشركون والمنافقون في يوم بدر"[69]، فكيف يستقيم ذلك؟ فهذا التضارب والتناقض في تفسير الآيات القرآنية، أو تفسير كل كلمة، أو جزء من الآية بطريقة متضاربة ومتناقضة مع الآية الأخرى بل مع الكلمة التي تليها دليل على عدم وجود منهج صحيح في التفسير، وعدم وجود أي خبر صحيح في ذلك، فهي روايات تناقلها المؤرخون وأصحاب التفسير المشهورين بالكذب ووضع الأخبار من أمثال الواقدي (ت207ه) ومقاتل (ت150) والكلبي (ت204ه) من دون مراعاة مدى

---

[69] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ)، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، (لبنان: دار الكتب العلمية، د. ط. ت)، ج1، ص115.

الترابط بينها، وكي تكون مقبولة فقد نسبت إلى ابن عباس رضي الله عنه، وبما أن ابن أبي سرح قد ارتد في حياته وجد فيه هؤلاء ضالتهم، ولا سيما أنه قد تقلد مناصب سياسية في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنهما.

ثم الآية نزلت ضمن سورة مكية فالآية مكية، وحسب القائلين فإن ابن أبي سرح قد ارتد في المدينة وليس في مكة[70]. لذا نقول: لم ترد أية رواية صحيحة تثبت نزول أية آية من سورة الأنعام فيه، فضلًا عن أن السياق ينافي ذلك بشكل واضح وصريح.

ما قيل في كتب التفسير عن نزول آيات من سورة النحل فيه

فضلاً عمّا ذكرنا مع سورة الأنعام فقد نقل مفسرون أن آيات من سورة النحل قد نزلت في عبدالله بن سعد ابن أبي سرح، وهي: الآية رقم (106) والآية (110).

قال مقاتل (ت150ه): "(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ)[71]، نزلت في عبد الله بن سعد ابن أبي سرح القرشي، ومقيس ابن ضبابة الليثي، وعبد الله بن أنس بن حنظل من بني تميم بن مرة، وطعمة بن أبيرق الأنصاري من بني ظفر بن الحارث، وقيس بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وقيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي، قتلا

---

[70] ينظر أقوال العلماء والأدلة على مكية هذه الآيات في: عبدالرزاق حسين أحمد، **المكي والمدني في القرآن الكريم، دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات**، (القاهرة: دار ابن عفان، ط1، 1420ه، 1999م)، ج2، ص612-615. ولمعرفة ما قيل بشكل عام في سورة الأنعام وأدلة كل فريق، ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص288-305.

[71] سورة النحل/106.

ببدر، ثم استثنى فقال[72]: (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ) على الكفر (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ) يعني راض بِالْإِيمانِ"[73].

وأضاف مقاتل: "ثم قال -عز وجل-: (وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ) من وسع بِالْكُفْرِ صَدْرًا إلى أربع آيات، يعني: عبد الله بن سعد ابن أبي سرح، وهؤلاء المسلمين، (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ)، -106- في الآخرة ذلِكَ الغضب والعذاب بِأَنَّهُمُ (اسْتَحَبُّوا) يعني اختاروا الْحَياةَ الدُّنْيا الفانية"[74]. وقد سبق أن ذكرنا ما قاله العلماء في ضعف مقاتل بن سليمان، ووضعه للأحاديث. وكذا فإن سياق الآية هنا كما كان الحال عليه مع الآيات السابقة يناقض ما آل إليه حال ابن أبي سرح إذ أسلم وحسن إسلامه ومات على ذلك.

في حين أخرج الطبري رواية تؤكد نزول الآية (110) فيه فقال: "وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في شأن ابن أبي سرح...حدثني ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصري، قالا في سورة النحل (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[75]، ثم نسخ واستثنى من ذلك، فقال: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)[76]، وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله

---

[72] سورة النحل/110.

[73] مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج2، ص488.

[74] المصدر نفسه، ج2، ص489.

[75] سورة النحل/106.

[76] سورة النحل/110.

ﷺ، فأزلَّه الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به النبيّ ﷺ أن يُقتل يوم فتح مكة، فاستجار له أبو عمرو فأجاره النبيّ ﷺ "[77].

وواضح أن سندها ضعيف لإرساله أولًا، والمرسل لا يحتج به كما سبق.

ثانيًا: لأن ابن حميد معروف بكذبه أيضًا.

قال الذهبي في "ميزان الإعتدال" عن ابن حميد: "محمد بن حميد الرازي الحافظ: ...وهو ضعيف. قال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير. وقال البخاري: فيه نظر. وكذبه أبو زرعة. وقال فضلك الرازي: عندي عن ابن حميد خمسون ألف حديث، ولا أحدث عنه بحرف. قال صالح جزرة: كنانتهم ابن حميد في كل شئ يحدثنا ما رأيت أجرأ على الله منه، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضه على بعض. وقال ابن خراش: حدثنا ابن حميد -وكان والله يكذب. وجاء عن غير واحد أن ابن حميد كان يسرق الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال صالح جزرة: ما رأيت أحذق بالكذب من ابن حميد ومن ابن الشاذكوني. وقال أبو على النيسابوري: قلت لابن خزيمة: لو أخذت الإسناد عن ابن حميد! فإن أحمد بن حنبل قد أحسن الثناء عليه! قال: إنه لم يعرفه، ولو عرفه كما عرفناه ما أثنى عليه أصلا. وقال أبو أحمد العسال: سمعت فضلك الرازي يقول: دخلت على محمد بن حميد وهو يركب

---

[77] الطبري، **جامع البيان**، ج17، ص308؛ ونقله بالبغوي، وقال: "وقال الحسن وعكرمة..." ؛ ينظر: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ)، ج3، ص99. وذكر القرطبي نزولها في ابن أبي سرح بصيغة (قيل) وذكر عدة أقوال أخرى فيها، انظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ، 1964م)، ج10، ص192. ونقله السيوطي عن الطبري بنصه، انظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، **الدر المنثور**، (بيروت: دار الفكر، د. ط. ت)، ج5، ص171.

الأسانيد على المتون...وقال أبو بكر الصغاني: حدثنا محمد بن حميد. فقيل له: أتحدث عنه؟ فقال: ومالي لا أحدث عنه، وقد حدث عنه أحمد بن حنبل وابن معين..."[78].

ثالثًا: فضلًا عن ذلك لا يمكن القول إن هذه الآية قد نزلت في ابن أبي سرح كون الاستثناء هنا لمن تاب وآمن ثم هاجر، وابن أبي سرح قد رجع إلى الإسلام في فتح مكة، بعد أن انقطعت الهجرة، قال النبي ﷺ يوم الفتح كما ورد في البخاري ومسلم أنه: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا)[79].

لذا نجد أن ابن الجوزي (ت597هـ) وبعد أن ذكر أربعة أقوال، أبعد احتمال نزول هذه الآية في ابن أبي سرح، كون الهجرة قد انقطعت بعد فتح مكة، فقال: "وقوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا)، اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت فيمن كان يفتن بمكّة من أصحاب رسول الله ﷺ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: أن قومًا من المسلمين خرجوا للهجرة، فلحقهم المشركون فأعطَوهم الفتنة، فنزل فيهم: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ)[80]، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا، وأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا، وقُتِل من قتل، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس.

---

[78] الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج3، ص530-531.

[79] محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (د. م: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، ج4، ص15، رقم الحديث: 2783، ومسلم، **صحيح مسلم**، ج2، ص986، رقم الحديث: 445.

[80] سورة العنكبوت/10.

والثالث: أنها نزلت في عبد الله بن سعد ابن أبي سرح، كان الشيطان قد أزلَّه حتى لحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُقتَل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفّان، فأجاره رسول الله ﷺ، وهذا مروي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وفيه بُعد، لأن المشار إِليه وإِن كان قد عاد إِلى الإِسلام، فإن الهجرة انقطعت بالفتح.

والرابع: أنها نزلت في عيَّاش بن أبي ربيعة، وأبي جندل بن سهيل بن عمرو، وعبد الله بن أَسيد الثقفي، قاله مقاتل."[81].

وقد رد الرازي (ت606هـ) بدوره احتمال نزول الآية فيه بقوله: "وقيل: نزلت في عبدالله بن سعد ابن أبي سرح ارتد، فلما كان يوم الفتح أمر النبي ﷺ بقتله، فاستجار له عثمان، فأجاره رسول الله ﷺ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه، وهذه الرواية إنما تصح لو جعلنا هذه السورة مدنية، أو جعلنا هذه الآية منها مدنية"[82].

والأمر ليس كما قال الرازي رحمه الله لأنه حتى لو جعلنا السورة مدنية أو الآية مدنية، فإن الهجرة قد انقطعت بالفتح، وسبق أن ذكرنا الحديث المتفق عليه الدال على ذلك.

وقد نقل القرطبي (ت671هـ) عن الكلبي (ت204ه) أنها نزلت في عبدالله بن سعد ابن أبي سرح، فقال: "قوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ)[83]، هذا متصل بقوله

---

[81] عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422ه)، ج2، ص588.

[82] الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج20، ص277. وقد كرر الخازن الأمر نفسه، وذكر الرد نفسه الذي ذكره الرازي؛ انظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج3، ص101.

[83] سورة النحل/106.

تعالى: (وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها)[84]، فكان مبالغة في الوصف بالكذب، لأن معناه لا ترتدوا عن بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم. أي: من كفر من بعد إيمانه، وارتد فعليه غضب الله. قال الكلبي: نزلت في عبدالله ابن أبي سرح ومقيس بن ضبابة وعبدالله بن خطل وقيس بن الوليد بن المغيرة، كفروا بعد إيمانهم. ثم قال: (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ)"[85].

والكلبي معروف بكذبه ووضعه:

قال الذهبي: "...وقال أحمد بن زهير: قلت لأحمد بن حنبل: يحل النظر في تفسير الكلبي؟ قال: لا. وعن ابن معين، قال الكلبي: قال ليس بثقة. وقال الجوزجاني وغيره: كذاب. وقال الدارقطني وجماعة: متروك. وقال ابن حبان: مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه. يروي عن أبي صالح، عن ابن عباس التفسير. وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فلما احتيج إليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها. لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به!"[86].

وأضاف في موقع آخر: "قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال ابن عساكر: رافضي، ليس بثقة..."[87].

وقد نقل الواقدي أيضًا هذه في المغازي[88]، والواقدي معروف بكذبه.

---

[84] سورة النحل/91.

[85] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج10، ص180.

[86] الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج3، ص558-559.

[87] الذهبي، **ميزان الاعتدال**، ج4، ص304-305؛ ابن حبان، **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، ج2، ص254-255.

[88] الواقدي، **المغازي**، ج1، ص73-74.

قال الذهبي في ميزان الإعتدال: "محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، مولاهم الواقدي المدني القاضي، صاحب التصانيف، وأحد أوعية العلم على ضعفه. ...قال أحمد بن حنبل: هو كذاب، يقلب الأحاديث، يلقى حديث ابن أخي الزهري على معمر ونحو ذا. وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال مرة: لا يكتب حديثه. وقال البخاري وأبو حاتم: متروك. وقال أبو حاتم أيضا والنسائي: يضع الحديث. وقال الدارقطني: فيه ضعف. وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه. علي بن المديني يقول: الواقدي يضع الحديث..."[89].

لذا فما نقله المفسرون عن نزول الآية (106) في عبدالله ابن أبي سرح إنما نقله مفسرون معروفون بالوضع والكذب كالكلبي ومقاتل بن سليمان، وما أورده الطبري وابن أبي حاتم في ذلك إنما جاء بسند معروف بالضعف. فضلًا عن ذلك فإن القول بنزول الآية (110) فيه يخالف الوقائع المعروفة في السيرة، كون ابن أبي سرح قد رجع إلى الإسلام بعد فتح مكة، وكانت الهجرة قد انقطعت آنذاك، ناهيك عن ضعف السند كما مر.

ما قيل في كتب التفسير عن نزول آيات من سورة الأنفال فيه

أما في سورة الأنفال فنجد أن المفسرين قد أضافوا كلمات جديدة إلى القصة، فهناك كان ابن أبي سرح يكتب ثم يحرف النص، وهنا نجده ينافق، ويخون ثم يرتد، وهي كلها روايات ليست لها أسانيد صحيحة، ناهيك عن تضارب المتن من رواية إلى أخرى، فينقل الطبري (ت310ه) ذلك بقوله:

---

[89] الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج3، ص662-663؛ ابن حبان، **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، ج2، ص254-255، وج2، ص290.

"حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة (ت118ه) قوله: (وإن يريدوا خيانتك)[90] الآية، قال: ذكر لنا أن رجلًا كتب لنبي الله ﷺ، ثم عمد فنافق، فلحق بالمشركين بمكة، ثم قال: "ما كان محمد يكتب إلا ما شئت!"، فلما سمع ذلك رجل من الأنصار، نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف. فلما كان يوم الفتح، أمَّن رسول الله ﷺ الناس إلا عبد الله بن سعد ابن أبي سرح، ومِقْيَس بن صُبابة، وابن خطل، وامرأة كانت تدعو على النبيّ ﷺ كل صباح. فجاء عثمان بابن أبي سرح، وكان رضيعه = أو: أخاه من الرضاعة= فقال: يا رسول الله، هذا فلان أقبل تائبًا نادمًا! فأعرض نبي الله ﷺ. فلما سمع به الأنصاريّ أقبل متقلدًا سيفه، فأطاف به، وجعل ينظر إلى رسول الله ﷺ رجاء أن يومئ إليه. ثم إن رسول الله ﷺ قدّم يده فبايعه، فقال: أما والله لقد تلوَّمتك[91] فيه لتوفي نذرك! فقال: يا نبيّ الله إنيّ هِبْتك، فلولا أوْمضت[92] إليّ! فقال: إنه لا ينبغي لنبيٍّ أن يومض"[93].

وهو ما نقله ابن أبي حاتم (ت327ه) عن قتادة أيضًا في تفسيره: "حدثنا محمد بن عبدالله بن ميمون الإسكندراني، ثنا الوليد بن مسلم، حدثنا محمد سعيد بن

---

[90] سورة الأنفال/71.

[91] "تَلَوَّمَ في الأَمْرِ: تَمَكَّثَ، وانْتَظَرَ. ولي فيه لُومَةٌ، أَي: تَلَوُّم، ابْنُ بُزُرْجَ: التَّلَوُّمُ التَّنَظُّر للأَمر تُريده. والتَّلَوُّم: الِانْتِظَارُ والتلبُّثُ"، انظر: محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ)، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ)، ج557/12؛ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت817هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ،2005م)، ج1، ص1159.

[92] "أَي: هلَّا أَشَرْتَ إِليَّ إِشارة خفيَّة، مِنْ أَوْمَض البرقُ، ووَمَض"، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج7، ص252.

[93] الطبري، **جامع البيان**، ج14، ص76؛ وانظر الخبر نفسه مع تغير بسيط عند: ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، ج5، ص1738.

بشير عن قتادة، قال: قال الله تبارك وتعالى: (وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم)[94]، قال: إن عبدالله بن سعد ابن أبي سَرْحٍ، كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ **فَنَافَقَ فَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ** وَقَالَ: وَاللَّهِ أَنْ كَانَ مُحَمَّدٌ لَا يَكْتُبُ إِلَّا مَا شِئْتُ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ..."[95].

وكما هو واضح فإن الآية تتحدث عن أسرى غزوة بدر، وكيف أمكن الله منهم، يقول ابن كثير (ت774ه): "قَوْلُهُ: {وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ}، أَيْ: فِيمَا أَظْهَرُوا لَكَ مِنَ الْأَقْوَالِ، {فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ} أَيْ: مِنْ قَبْلِ بَدْرٍ بِالْكُفْرِ بِهِ، {فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} أَيْ: بِالْإِسَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} أَيْ: عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ، حَكِيمٌ فِيهِ. قَالَ قَتَادَةُ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ الْكَاتِبِ حِينَ ارْتَدَّ، وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ"[96].

فما نقله الطبري وابن أبي حاتم وابن كثير عن قتادة من أنها نزلت في عبدالله ابن أبي سرح لا يمكن أن يكون صحيحًا بحال من الأحوال، لأن هذه الآية صريحة أنها نزلت في الأسرى الذين وقعوا في أيدي المسلمين في يوم بدر، والآيات التي قبلها مباشرة تؤكد فعلًا أنها نزلت في أسرى بدر، قال تعالى في سورة الأنفال: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (69) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ

---

[94] سورة الأنفال/71.

[95] ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، ج5، ص1738.

[96] أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (د. م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م)، ج4، ص94.

مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71).

لذا نتساءل ما علاقة عبدالله ابن أبي سرح بأسرى بدر؟، إذ أنه أسلم قبل فتح مكة حسب البعض، وفي مكة حسب آخرين، ثم ارتد ثم أسلم بعد العفو عنه في فتح مكة، فكيف تنزل هذه الآية فيه؟ ولو أسر بعد ردته فلماذا لم يقتله النبي ﷺ للردة، ولا سيما أنه وحسب هذه الرواية قد جاء لحرب المسلمين. فضلًا عن ذلك فإن هذا القول منقول عن قتادة، إذن فهو معضل، والمعضل من أنواع الحديث الضعيف كما مر فلا يحتج به.

الدمج بين الآية 93 من سورة الأنعام والآية 14 من سورة المؤمنون

في حين دمج مفسرون [97] بين آية الأنعام وآية المؤمنون، فقالوا: إنما نزلت الآية (93) من سورة الأنعام بعد أن ارتد ابن أبي سرح بسبب نطقه بنهاية الآية (14) من

---

[97] ومن هؤلاء المفسرين الذين أشاروا إلى ذلك: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء (ت207هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، د. ت)، ج1، ص344؛ الماوردي، **النكت والعيون**، ج2، ص144. وابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص322؛ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407ه)، ج3، ص178-179. الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت 683) وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي]؛ ابن الجوزي، **زاد الميسر في علم التفسير**، (دار الكتب العلمية)، ج3، ص66؛ الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج13، ص67؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج7، ص40؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.م: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376ه، 1957م)، ج1، ص200؛ ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج8، ص288؛ أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، د. ط. ت)، ج3، ص163؛ إسماعيل حقي البروسوي (ت1137ه)، **تفسير**

سورة المؤمنون، بعد أن وافق النبي ﷺ على ما قاله، وأمره ﷺ بكتابة ما نطق به لأنها نزلت هكذا.

فقد ذكر القرطبي (ت671ه) رواية الكلبي الكذاب من أنها نزلت بعد أن أرتد عبدالله بسبب آية سورة المؤمنون: (فتبارك الله أحسن الخالقين)، فقال: "وَالْمُرَادُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ الَّذِي كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ. وَسَبَبُ ذَلِكَ فِيمَا ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي" الْمُؤْمِنُونَ": (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ)[98]، دَعَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمْلَاهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: (ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقًا آخَرَ)، عَجِبَ عَبْدُاللَّهِ فِي تَفْصِيلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، فَقَالَ:" فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَهَكَذَا أُنْزِلَتْ عَلَيَّ)، فَشَكَّ عَبْدُ اللَّهِ حِينَئِذٍ، وَقَالَ: لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا لقد أوحي إليَّ كما أوحي إليه، ولئن كَانَ كَاذِبًا، لَقَدْ قُلْتُ كَمَا قَالَ. فَارْتَدَّ

روح البيان، تعليق وتصحيح: أحمد عبيد وعناية، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1421ه، 2001م)، ج3، ص87؛ شهاب الدين محمود الآلوسي (ت1270ه)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق وتخريج: السيد محمد السيد وسيد إبراهيم عمران، (القاهرة: دار الحديث، د. ط، 1426هـ، 2005م)، ج4، ص285-286؛ أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (ت1224ه)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عمر أحمد الراوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1423ه، 2002م)، ج2، ص284؛ المظهري، **التفسير المظهري**، ج2، ص480، (علمًا أنه نقل ذلك عن البغوي) ؛ محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ)، **فتح القدير**، (دمشق-بيروت: دار ابن كثير-دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ)، ج2، ص159؛ نظام الدين القمي النيسابوري، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج3، ص121، ومن المعاصرين: محمد متولي الشعراوي (ت1418ه)، **تفسير الشعراوي**، (د.م: أخبار اليوم، د. ط. ت)، ج6، ص3796؛ سيد قطب: **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط17، 1412هـ)، ج2، ص1149. علمًا أن الطبري لم يذكر شيئًا من ذلك، وكذا السيوطي في الدر المنثور، وربما هذا هو الذي دفع محمد رشيد رضا ليقول: "لَمْ أَرَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ"، ينظر: رضا (ت1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ج7، ص520-521.

[98] سورة المؤمنون/12.

عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: (وَمَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، رَوَاهُ الْكَلْبِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ"[99].

والرواية ضعيفة إن لم تكن موضوعة، كونها من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وقد مر أنه معروف بكذبه، وأصل الرواية ذكرها الواحدي (ت468ه) في "أسباب النزول": وهي من طريق الكلبي (ت204ه) كما هو واضح، قال الواحدي:

"قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)،93. نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ كَانَ قَدْ تَكَلَّمَ بِالْإِسْلَامِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتَ يَوْمٍ يَكْتُبُ لَهُ شَيْئًا، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمُؤْمِنُونَ: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ) أَمْلَاهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) عَجِبَ عَبْدُ اللَّهِ فِي تَفْصِيلِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، فَقَالَ: تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "هَكَذَا أُنْزِلَتْ عَلَيَّ"، فَشَكَّ عَبْدُ اللَّهِ حِينَئِذٍ، وَقَالَ: لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ كَمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، وَلَئِنْ كَانَ كَذَّابًا لَقَدْ قُلْتُ كَمَا قَالَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: (وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، وَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، **وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ الْكَلْبِيِّ**"[100].

---

[99] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج7، ص40؛ وينظر أيضًا الخبر نفسه في: منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني (ت489هـ)، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، (الرياض: دار الوطن، ط1، 1418ه،1997م)، ج2، ص126؛ البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، ج2، ص144-145.

[100] الواحدي، **أسباب النزول**، ص106؛ ونقل المفسرون الراوية نفسها عن الكلبي مثل الرازي وغيره، ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج23، ص266؛ ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج14، ص183.

فضلًا عن ضعف الرواية وكما يقول محمد رشيد رضا (ت1354هـ): "فالمروي أن الأنعام نزلت قبل سورة "المؤمنون"، وأن بينهما 18 سورة مكية، وما قيل من احتمال نزول هذه الآية بالمدينة لا حاجة إليه، والرواية غير صحيحة..."[101].

وبناء على هذه الروايات الضعيفة أو الموضوعة من الكلبي وغيره، والمنقولة في التفاسير، فقد زعم المستشرق الألماني تيودور نولدكه (*Theodor Nöldeke*) (ت1935م) أن الرسول ﷺ باعتباره مؤلف القرآن حسب زعم نولدكه قد منح المقاطع القرآنية شكلها النهائي، وأنه كان يدخل في النص القرآني ما يراه ملائمًا من كلام غيره، ومنهم عبدالله بن سعد ابن أبي سرح، إذ يقول: "ولابد من أن محمدًا منح المقاطع القرآنية شكلها النهائي الذي احتفظت به، من خلال تلاوته إياها من أجل أن تحفظ أو تدون. هذا ما يبدو من القصة التالية التي يرويها معظم المفسرين تعليقًا على سورة الأنعام 6: 93، حين أملى محمد مطلع سورة المؤمنون 23 على عبدالله بن أبي سرح الذي يستخدمه أحيانًا ككاتب للوحي، أصيب هذا بالإندهاش من وصف قدرة الله الخالق فصاح: (فتبارك الله أحسن الخالقين)، فأمره النبي أن يكتبها، لأنها هكذا نزلت. يتضح لنا، إذًا، أن كلمات عبدالله بدت لمحمد ملائمة، فاتخذها في هذا الوضع ارتجالًا"[102].

---

[101] رضا (ت1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ج7، ص520-521.

[102] ثيودور نولدكه (ت1935م): **تاريخ القرآن**، ترجمة: جورج تامر، (بيروت: مؤسسة كونراد-أدناور، ط1، 2004م)، ص43. وقد قال (Max Muller) إلى أن الآية تشير إلى عبدالله بن سعد ابن أبي سرح الذي تلفظ بخاتمة الآية، فقال له محمد -حسب قوله- أن يكتب ما قاله في خاتمة الآية مما جعل عبدالله أن يتباهى بنفسه بأنه هو أيضًا قد أوحي إليه، ينظر:

F, Max Muller, 1880. *The Scared Books of the East*, The claredon press. Vol; VI. P. 126.

في حين قال بيل (Bell Richard) إلى أن الآية لا تشير إلى الأنبياء الكذبة، وإنما إلى اليهود الذين يعدون شريعتهم الشفوية موحي إليهم، ينظر:

Richard Bell, 1960. *The Qur'an, Translated, with a critical re-arrengement of the Surahs*. Edinburgh, T. & T. Clark. Vol; 1. P124.

ويبدو أن الكلبي وغيره من المفسرين مثل مقاتل بن سليمان قد نسبوا أمورًا كثيرة إلى الصحابي عبدالله بن سعد ابن أبي سرح وهو بريء منها، فنجده مرة ضمن المنافقين الذين هموا بقتل الرسول ﷺ في غزوة تبوك إلا أنهم فشلوا كما يرويه الكلبي: "...هم خمسة عشر رجلا منهم عبد الله بن أبي، وعبد الله بن سعد ابن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق والجلاس بن سويد وعامر بن النعمان وأبو الأحوص، همّوا بقتل النبي ﷺ في غزوة تبوك فأخبر جبرائيل بذلك رسول الله ﷺ "[103]. ونقل مقاتل الخبر نفسه[104].

ومرة نجده ضمن الآلة الإعلامية للمنافقين الذين يبثون الإشاعات بين المسلمين، ويحاربون المسلمين من الناحية النفسية بالتناجي بالإثم ولا سيما بعد معركة مؤتة كما ينقله مقاتل بن سليمان[105]، ومرة أخرى نجده ضمن من يراسل المشركين في مكة مع رأس المنافقين، ويمكرون بالنبي ﷺ بعد معركة أحد كما ينقل ذلك الواحدي[106]، أو بدون تحديد الزمن كما ينقله مقاتل[107]، وغيرها من الأمور التي لا تستقيم مع الوقائع الثابتة والأخبار الصحيحة. بل نسب إليه أنه وقف عائقًا أمام عثمان رضي الله عنه كي يتوقف عن الإنفاق في سبيل الله، وطلب منه أن يعطيه ناقته برحلها، وأنه سيتحمل عنه ذنوبه يوم القيامة، وهو ما نقله الواحدي عن ابن عباس والكلبي والسدي[108].

---

[103] الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج5، ص70.

[104] مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج2، ص183.

[105] المصدر نفسه، ج4، ص261.

[106] الواحدي، **أسباب النزول**، ص173؛ وانظر من المعاصرين الذين نقلوا ذلك: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج11، ص11910.

[107] مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج3، ص468-471.

[108] ينظر: الواحدي، **أسباب النزول**، ص195.

لذا وبناء على هذه الأخبار المتضاربة الضعيفة فإن عبدالله بن سعد ابن أبي سرح قد نافق[109] واستمرت عملية نفاقه فترة طويلة تمتد على أقل تقدير من معركة أحد أو قبلها إلى نهاية غزوة تبوك...ويدل على هزالة هذه الروايات، وبعدها عن الحقيقة أن ابن أبي سرح قد ارتد قبل هذه التواريخ، بل ورجع إلى الإسلام في فتح مكة كما ظهر من كل الروايات التي ذكرناها الصحيحة والضعيفة.

لذا كان الأولى بالمفسرين أن لا يعتمدوا على مثل هذه التفاسير أو الأكاذيب، ولا سيما عن مقاتل والكلبي وبعض كتب المغازي، إذ أحسن وصف لهذه التفاسير هو ما قاله ابن تيمية (ت728ه) عن تفسير مقاتل والكلبي، بقوله: "ومعلوم أن في كتب التفسير من النقل عن ابن عباس من الكذب شيئًا كثيرًا من رواية الكلبي عن أبي صالح وغيره، فلابد من تصحيح النقل لتقوم الحجة، فليراجع كتب التفسير التي يحرر فيها النقل مثل تفسير محمد بن جرير الطبري الذي ينقل فيه كلام السلف بالإسناد[110]، وليعرض عن تفسير مقاتل والكلبي"[111].

---

[109] من المفسرين الذين نقلوا هذه الأخبار التي لا أصل لها أو المنقولة من الكلبي، من أنه نافق: مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج2، ص183، وج3، ص468-471، وج4، ص261؛ الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج5، ص70، وج8، ص5-6؛ الواحدي، **أسباب النزول**، ص173؛ البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج3، ص606؛ ونقله القرطبي عن الواحدي، ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج14، ص114؛ الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج3، ص408.

[110] لو اكتفى الطبري رحمه الله بنقل الخبر فقط بالإسناد لكان معذورًا في ذلك، ولكن الإشكال هو أنه بنى على تلك الأخبار والأسانيد الضعيفة نتائج غير صحيحة.

[111] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت728هـ)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د. ط، 1416ه، 1995م)، ج6، ص389. وقد أبعد النسفي أن تكون القصة صحيحة بعيدًا عن مسألة السند بصيغة (قيل)، بقوله: "وقيل هذه الحكاية غير صحيحة، لأن ارتداده كان بالمدينة، وهذه السورة مكية، وقيل القائل عمر أو معاذ رضى الله عنهما"؛ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت710هـ)، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، تحقيق وتخريج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1،

لذا نقول بإيجاز: لم ترد أية رواية صحيحة ضمن الروايات التي وردت في أغلب كتب التفسير عند ذكر المفسرين أسباب نزول عدد من الآيات تثبت تحريف ابن أبي سرح للنص القرآني، إذ لم تسلم تلك الآثار من الضعف في سندها، ناهيك عن أن دلالة السياق في أكثرها على خلاف ما قصده ناقلوها.

والغريب أن هذه الروايات تناقلها المفسرون جيلًا عن جيل في كتبهم وإلى عصرنا هذا، فقد ذكر ذلك مفسرون معاصرون كما مر. في حين رد مفسرون معاصرون هذه الروايات، ومن هؤلاء محمد عزة دروزة، ومحمد رشيد رضا وابن عاشور.

يقول محمد عزة دروزة (ت1984م): "والروايات في صدد عبد الله بن سرح مضطربة، وسورة المؤمنون التي تروي إحداها قول عبد الله الذي قال له النبي ﷺ إنما مطابق لما نزل نزلت بعد سورة الأنعام بمدة غير قصيرة.

وكذلك سورة النحل التي تروي بعض الروايات أن بعض آياتها نزلت في سعد والمرتدين المكرهين. وعبدالله هو أخو عثمان بن عفان بالرضاعة، وقد عينه في زمن خلافته واليًا على مصر بعد أن عزل عمرو بن العاص. وروت الروايات أن النبي ﷺ أهدر دمه بسبب ارتداده حتى تشفع فيه أخوه، **وكل هذا يجعلنا نخشى أن يكون اسمه قد أقحم لأهواء سياسية**، ويجعلنا نشك أولًا في رواية مدنية الآية، وثانيًا: في الروايات المروية كسبب لنزولها. لأن هذا وذاك يقتضيان أن تكون نزلت منفردة بل ومجزّأة، أي: إن شطرًا منها نزل في مناسبة، وشطرًا في مناسبة أخرى، وأن تكون أقحمت على السياق إقحامًا مع أنها منسجمة انسجامًا تامًا في السياق والموضوع، وشطرها الأول متصل بشطرها الثاني. وفحوى الآية التالية لها والتي تعطف عليها،

1419ه، ــ1998م)، ج2، ص462.

وتنذر الظالمين، وتحكي ما كان منهم من استكبار عن آيات الله، وافتراء عليه، يلهم بكل قوة أنها في صدد مشركي العرب موضوع الكلام في الآيات السابقة"[112].

وقال ابن عاشور (ت1393ه) عن تلك الروايات: "فالجواب: أن هذا من نقل المؤرخين، وهم لا يعتد بكلامهم في مثل هذا الشأن لا سيما وولاية عبد الله ابن أبي سرح الإمارة من جملة ما نقمه الثوار على عثمان، وتحامل المؤرخين فيها معلوم، لأنهم تلقوها من الناقمين وأشياعهم، والأدلة الشرعية تنفي هذا، لأنه لو صح للزم عليه دخول الشك في الدين، ولو حاول عبد الله هذا لأعلم الله تعالى به رسوله، لأنه لا يجوز على الرسول السهو والغفلة فيما يرجع إلى التبليغ، على أنه مزيف من حيث العقل، إذ لو أراد أن يكيد للدين لكان الأجدر به تحريف غير ذلك، على أن هذا كلام قاله في وقت ارتداده، وقوله حينئذ في الدين غير مصدق؛ لأنه متهم بقصد ترويج ردته عند المشركين بمكة..."[113].

وختامًا وكما قال محمد رشيد رضا (ت1354هـ) عن ابن أبي سرح أنه قد رجع إلى الإسلام: "ولو تصرف في القرآن تصرفًا أقره عليه النبي ﷺ، فشك في الوحي لأجله لما رجع إلى الإسلام"[114].

وإن ادعى أحد أنه ربما رجع مجبرًا، نقول: فلماذا لم يلتحق بحركة الردة التي انتشرت بين العرب بعد وفاة النبي ﷺ، وملكت من القوة الكثير إذ دخلت في حرب مفتوحة مع المسلمين، إذ فسحت المجال لكل من بقي في قلبه شك تجاه الإسلام

---

[112] محمد عزة دروزة (ت1984م)، **التفسير الحديث**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1421ه، 2000م)، ج4، ص124-126.

[113] محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، **التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية للنشر، د. ط، 1984مـ)، ج1، ص265.

[114] رضا (ت1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ج7، ص520-521.

أن يعلن عنه، ولكنه بقي على الإسلام، ولم يصدر عنه ما ينقم عليه إلى أن مات رضي الله عنه.

إشكالية الأخذ بظاهر هذه الروايات

ومع أنه لم تثبت مسألة تحريف الصحابي عبدالله بن سعد ابن أبي سرح للنص القرآني بنص صحيح إلا أن الغريب أن عددًا من العلماء قديمًا وحديثًا أخذ بتلك الأخبار أو الروايات على ظاهرها، وتعامل معها وكأنها صحيحة، ونسب تلك الأقوال فعلًا إلى ابن أبي سرح بدون تفنيدها أو على أقل تقدير تحقيقها.

ففضلًا عن الطبري الذي نقل تلك الأخبار في تفسيره وتبناها، ومن ثم نقل أغلب المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين من تفسيره تلك الروايات الضعيفة، فهناك علماء آخرين ذكروا تلك الروايات وهم في صدد الدفاع عن سلامة النص القرآني.

وممن أخذ بظاهر تلك الروايات وذكرها من دون تفنيد ابن عبدالبر (ت463ه) في "الاستيعاب"، وكأن هناك حيزًا كبيرًا من الحرية لكاتب الوحي كي يكتب ما يريد، إذ قال: "وَكَانَ يكتب الوحي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ارتد مشركًا، وصار إلى قريش بمكة، فَقَالَ لهم: إِنِّي كنت أصرف محمدًا حيث أريد، كَانَ يملي علي: «عَزِيزٌ حَكِيمٌ»، فأقول: أو عليم حكيم؟ فيقول: نعم، كل صواب..."[115]. وهو ما فعله ابن الأثير (ت630ه) في "أسد الغابة"[116].

---

[115] أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبدالبر (ت463هـ)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار الجيل، ط1، 1412هـ، 1992م)، ج3، ص918.

[116] أبو الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري (ت630ه)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (بيروت: دار المعرفة، ط3، 1428ه، 2007م)، ج2، ص610.

وإلى هذه الحرية المزعومة يشير المستشرق جولدتسيهر (Ignaz Goldziher) (ت1921م) بقوله: "وإلى هذا أيضًا مثال واضح[117] فإن عبدالله بن أبي سرح، أخا عثمان من الرضاعة، الذي دخل في الإسلام قبل فتح مكة ثم ارتد بعد وفاة الرسول[118] ثم احتل ثانيًا منصبًا بارزًا في الدولة الإسلامية على عهد عثمان، كان من كتاب الوحي عند الرسول (ﷺ). وقد روى أنه في حديثه عن عمله هذا، افتخر أمام القرشيين بما كان يتمتع به من النفوذ عند الرسول فقال: إنه كان يحول النبي كما يريد، وقال: كان يملي عليّ مثلًا: عزيز حكيم، فأقول: هل اكتب: عليم حكيم، فيقول النبي: نعم كل صواب"[119].

وقد أشار إلى تلاعبه بالنص القرآني ابن حبان (ت354ه) في "تاريخ الصحابة" بصيغة التضعيف بقوله: "وقد قيل"، بدون أن يرد على ذلك[120]. وهو ما نقله ابن سعد (ت217ه) عن آخرين بقوله: "قالوا"[121]، و لم يفند ذلك.

ويعد ابن تيمية (ت728ه) من أكثر العلماء المتقدمين الذين تناولوا قصة ابن أبي سرح بشكل مفصل، وفي أكثر من موضع، ولا سيما في كتابه "الصارم المسلول"، إلا أن الأمر الغريب هو أن ابن تيمية قد أخذ ما ذكره المؤرخون، وما ذكر في تلك

---

[117] وهو يتحدث فيما يزعم عن الحرية المطردة في رواية النص القرآني على وجه لا يتفق بالكلية مع صورته الأصلية.

[118] ربما يكون هذا خطأ في الترجمة وإلا لا يعقل أن يدعي جولدزيهر أنه ارتد بعد وفاة النبي ﷺ لأنه مسألة رجوعه أثناء فتح مكة معروفة.

[119] إجنتس جولدتسهر (ت1921م)، **مذاهب التفسير الإسلامي**، بعناية الدكتور عبدالحليم النجار، (القاهرة-بغداد: مكتبة الخانجي-مكتبة المثنى، د. ط، 1374هـ، 1955م)، ص51.

[120] أبو حاتم محمد ابن حبان البستي، **تاريخ الصحابة**، تحقيق: بوران الفناوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1408ه، 1988م)، ص151.

[121] محمد بن سعد بن منيع (ت217ه)، **الجزء المتمم لطبقات ابن سعد**، تحقيق ودراسة: عبد العزيز عبد الله السلومي، (الطائف: مكتبة الصديق، د. ط، 1416هـ)، ج1، ص448.

الروايات التي أوردها على ظاهرها وكأنها صحيحة، مع أنه قد أشار فيما بعد وأثناء ذكره لرواية مؤيدة لهذا الاتجاه بسند الكلبي بأن هذا الإسناد ليس ثقة، وعلى الرغم من ذلك فإنه قد نسب مسألة الافتراء على الله وعلى الرسول ﷺ إلى ابن أبي سرح في أكثر من موضع إنطلاقًا من تلك الأخبار التي جاءت في كتب المغازي أو الروايات الضعيفة التي وردت ولا سيما في كتب التفسير[122].

لذا فليس صحيحًا ما قاله السواعدة في معرض حديثه عن كيفية تعامل المفسرين مع تلك الروايات وتحت عنوان: "الإعراض عن تلك الروايات منهج قويم"، إذ يقول: "بل إن بعضهم نقد هذه الروايات، ورفضها وردها كابن تيمية..." [123]. فهذا غير صحيح، والحقيقة أن ابن تيمية قد أخذ هذه الروايات باعتبارها صحيحة، وبنى عليها أمورًا كثيرة، واتهم ابن أبي سرح بالكذب والإفتراء بشكل صريح -طبعًا في حال ردته-.

فعلى سبيل المثال يقول ابن تيمية:

"وقد كان طائفة يسبون النبي من أهل الحرب، ثم أسلموا، وحسن إسلامهم، وقبل النبي منهم؛ منهم: أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ابن عم النبي، وعبدالله بن سعد ابن أبي سرح، وكان قد ارتد، وكان يكذب على النبي، ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن، ثم تاب وأسلم، وبايعه النبي على ذلك"[124].

---

[122] ومن المؤسف له أن بعض من أفتى على مواقع الإنترنيت بأنه هناك خلط بين شخصية ابن أبي سرح وشخصية أخرى ورودت فيها الروايات، استشهد بكلام ابن تيمية بأنه قد صحت الروايات في الأخير، في حين لم يتطرق إلى أن ابن تيمية قد اتهم ابن أبي سرح بذلك أيضًا مع أن الروايات غير صحيحة فيه على خلاف الآخر. ينظر مثلًا: بعنوان: (التفريق بين عبدالله بن أبي سرح وغيره ممن ارتد وادعى أنه كان يحرف الوحي)، موقع الإسلام سؤال وجواب، الرابط: http://islamqa.info/ar/168773

[123] ينظر: السواعدة، دعوى تحريف عبدالله بن أبي سرح للقرآن الكريم في كتب التفسير، دراسة نقدية، ينظر الجزء المنشور من بحثه على الرابط: http://sawadeh.alafdal.net/t13-topic

[124] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج3، ص291.

وقال: "إن عبد الله بن سعد ابن أبي سرح كان قد ارتد، وافترى على النبي ﷺ أنه يلقنه الوحي، ويكتب له ما يريد، فأهدر النبي ﷺ دمه، ونذر رجل من المسلمين ليقتلنه، ثم حبسه عثمان أيامًا، حتى اطمأن أهل مكة، ثم جاء تائبًا ليبايع النبي عليه الصلاة والسلام ويؤمنه، فصمت رسول الله ﷺ طويلًا، رجاء أن يقوم إليه الناذر أو غيره فيقتله ويوفي بنذره"[125].

ويضيف في موضع آخر: "فوجه الدلالة أن عبد الله بن سعد ابن أبي سرح افترى على النبي ﷺ أنه كان يتمم له الوحي، ويكتب له ما يريد، فيوافقه عليه، وأنه يصرفه حيث شاء، ويغير ما أمره به من الوحي، فيقره على ذلك، وزعم أنه سينزل مثل ما أنزل الله، إذ كان قد أوحي إليه في زعمه كما أوحي إلى رسول الله ﷺ، وهذا الطعن على رسول الله ﷺ وعلى كتابه، والافتراء عليه بما يوجب الريب في نبوته قدر زائد على مجرد الكفر به والردة في الدين، وهو من أنواع السب"[126].

وقال في موضع آخر: "واعلم أن افتراء ابن أبي سرح والكاتب الآخر النصراني على رسول الله ﷺ بأنه كان يتعلم منهما افتراء ظاهر. وكذلك قوله: "إني لأصرفه كيف شئت، إنه ليأمرني أن أكتب له الشيء، فأقول له: أو كذا أو كذا، فيقول: نعم"، فرية ظاهرة فإن النبي ﷺ كان لا يكتبه إلا ما أنزله الله، ولا يأمره أن يكتب قرآنًا إلا ما أوحاه الله إليه، ولا ينصرف له كيف شاء، بل ينصرف كما يشاء الله.

وكذلك قوله: "إني لأكتب له ما شئت هذا الذي كتبت يوحى إليَّ كما يوحى إلى محمد، وإن محمدًا إذا كان يتعلم مني فإني سأنزل مثل ما أنزل الله"، فرية

---

[125] ابن تيمية، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، ج1، ص408.

[126] المصدر نفسه، ج1، ص115.

ظاهرة فإن النبي ﷺ لم يكن يكتبه ما شاء، ولا كان يوحى إليه شيء. وكذلك قول النصراني: "ما يدري محمد إلا ما كتبت له"، من هذا القبيل وعلى هذا الافتراء حاق به العذاب واستوجب العقاب"[127].

وكما سلف فإنه لم يثبت شيء مما قاله ابن تيمية رحمه الله في كل كلامه السابق ما عدا قصة الكاتب النصراني في البخاري ومسلم[128]. وما قاله ابن تيمية إنما هو مبني على روايات ضعيفة إن لم تكن موضوعة، وكذا على ما نقله الإخباريون من إناس اشتهروا بضعفهم وبمعاداتهم لعثمان رضي الله عنه والمقربين منه.

أما في العصر الحديث فقد أخذ مفسرون معاصرون هذه الروايات على ظاهرها، ونسبوا دعوى تحريف النص القرآني إلى ابن أبي سرح، منهم الشعراوي في تفسير قوله تعالى: (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)). سورة المؤمنون، إذ يقول وكأن الأمر صحيح: "ويقال: إن سيدنا معاذ بن جبل نطق بها أيضًا، وكذلك نطق بها رجل آخر هو عبد الله بن سعد ابن أبي السرح، مع اختلاف

---

[127] المصدر نفسه، ج1، ص119.

[128] وملخص قصة النصراني مشابهة لما يذكره العلماء هنا في قصة عبدالله بن سعد ابن أبي سرح، من أن كاتبًا نصرانيًا مجهول الاسم أسلم ثم ارتد ثم زعم أنه كان يحرف النص القرآني، فمات كافرًا، فلما دفنوه لفظته الأرض، انظر القصة في: البخاري، **صحيح البخاري**، رقم الحديث: 3617، ج4، ص202؛ مسلم، **صحيح مسلم**، رقم الحديث: 2781، ج4، ص2145. وقد تناولنا ذلك في بحث مستقل بعنوان: (دعوى تحريف عبدالله بن سعد ابن أبي سرح للقرآن الكريم في ضوء كتب الحديث، دراسة تحليلية نقدية)، سينشر إن شاء الله في مجلة البيان لبحوث القرآن والحديث/جامعة ملايا، في العدد (1)، المجلد (13)، لهذا العام 2015م. أما لماذا ارتد ابن أبي سرح فقد اختلفت الروايات التي ذكرناها هنا في بيان سبب ذلك، فمرة تجعل سبب ذلك موافقة النبي ﷺ على تغييره لعدد من فواصل الآيات، في حين ترجع روايات أخرى سبب ذلك إلى نطقه بخاتمة الآية (14) من سورة المؤمنون، وأمر النبي ﷺ له بكتابتها كما نطق بها لأنها هكذا أنزلت عليه، وقد قلنا بعدم صحة تلك الروايات، في حين يرى بعض المؤرخين أن سبب ردته هو التعذيب الذي تعرض له مع غيره من المهاجرين أثناء محاولتهم الهجرة من مكة إلى المدينة، ينظر: الواقدي: **المغازي**، ج1، ص73-74.

في نتيجة هذا النطق: لما نطق بها عمر ومعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما كان استحسانًا وتعجبًا ينتهي إلى الله، ويُقِرّ له سبحانه بالقدرة وبديع الصُّنْع. أما ابن أبي السرح فقد قالها كذلك تعجبًا، لكن لما وافق قولُه قولَ القرآن أُعْجِب بنفسه، وادعى أنه يُوحَى إليه كما يُوحَى إلى محمد، ولم لا وهو يقول كما يقول القرآن، ومع ذلك هو ما يزال مؤدبًا يدَّعي مجرد أنه يوحى إليه، لكن زاد تعاليه وجَرَّه غرور إلى أنْ قال: سأنزل مثلما أنزل الله، فليس ضروريًا وجود الله في هذه المسألة، فارتدّ والعياذ بالله بسببها، وفيه نزل قول الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى عَلَى الله كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنَزلَ الله. .} [الأنعام: 93] [129].

علمًا أن الروايات التي وردت حتى في أن قائلها كان معاذًا ضعيفة أيضًا[130]، ناهيك عن التي وردت في ابن أبي سرح في ذلك بسند الكلبي وغيره. وكرر الأمر نفسه في موضع آخر، وقال بأنه اغتر لموافقة قوله نهاية الآية (14) من سورة المؤمنون"[131].

---

[129] الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ج9982/16. ومن المعاصرين الذين ذكروا مسألة تحريفه للنص القرآني صاحب كتاب: (كتاب الوحي)، ينظر: أحمد بن عبدالرحمن عيسى، **كتاب الوحي**، (الرياض: دار اللواء، ط1، 1400ه، 1980م)، ص325-326.

[130] ينظر: عبدالهلالي-آل نصر، **الاستيعاب في بيان الأسباب**، ج2، ص537. وقد ذكر المؤلفان كل الطرق التي وردت بها الرواية وهي كلها عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن زيد به، وجابر هو الجعفي ضعيف جدًا، وفي خبره نكارة شديدة.

[131] إذ يقول: "ولذلك نزل القول الحق: {أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ}، «وقد جاء واحد هو عبد الله بن سعد ابن أبي سرح القرشي وكان أخا لسيدنا عثمان من الرضاعة وكان كاتبًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وقعد في حضرة النبي. فنزلت الآية: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العلقة مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المضغة عِظَامًا فَكَسَوْنَا العظام لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} [المؤمنون:12-14]. وانبهر بالأطوار التي خلق فيها الحق الإنسان فقال: {تبارك الله أحسن الخالقين}. فقال له رسول الله: اكتبها فقد نزلت. واغْترّ الرجل وقال: إن كان محمدٌ صادقًا لقد أوحى إليّ كما أوحي إليه؛ وإن كاذبًا لقد قلت كما قال: فأهدر رسول الله دمه...ينظر: الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج6، ص3796.

والغريب أن مفسرين معاصرين معروفين زعموا أن ابن أبي سرح مثله مثل النضر بن الحارث قد عارض ما جاء من عند الله بما افتراه من القول كما هو الحال مع سعيد حوى (ت1409ه)، إذ قال: "من أدعى أنه يعارض ما جاء من عند الله بما يفتريه من القول كالنضر بن الحارث وعبدالله بن سعد ابن أبي سرح..."[132]. وقد نقل سيد قطب في تفسيره تلك الروايات الضعيفة بسند الكلبي[133].

في حين تساءل السيد محمد حسين فضل الله مستغربًا بقوله: "وهكذا نتساءل عن شخصية عبدالله بن أبي سرح كيف اعتمده النبي كاتبًا للوحي في الوقت الذي لم يكن مؤتمنًا على الوحي، وكيف يمكن أن ينطق بآية قرآنية قبل أن يلقيها النبي ﷺ عليه، لتكون المسألة من قبيل توارد الخاطر بينه وبين الوحي. إن هذه الملاحظات تبعث على الاستغراب والله العالم"[134]. والإجابة عن هذا التساؤل بسيط وهو أن هذا من رواية الكلبي فلا يحتج به، والأمر لا يحتاج إلى الاستغراب.

وهو السؤال نفسه الذي أثاره المستشرق الفرنسي بلاشير (R. Blachèr) (ت1973م) إذ يقول: "وإذا كنا نستطيع أن نثق ببعضهم ثقة مطلقة، فماذا نقول في رجل كعبدالله ابن أبي سرح الذي ارتد وافتتن، واعترف بأنه كان يكتب (غفورًا رحيمًا)، إذ كان النبي يملي عليه (عزيزًا حكيمًا)"[135]. وكما قلنا سابقًا فإنه لم يثبت شيء من ذلك بدليل صحيح.

---

[132] سعيد حوى (ت1409ه)، **الأساس في التفسير**، (القاهرة: دار السلام، ط5، 1419ه، 1999م)، ج3، ص1712؛ محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، د. ت)، ج5، ص130.

[133] قطب، **في ظلال القرآن**، ج2، ص1149.

[134] فضل الله، محمد حسين: **من وحي القرآن**، (بيروت: دار الملاك، ط2، 1419هـ، 1998م)، ج9، ص218.

[135] بلاشير، المدخل:12، نقلًا عن: عبدالصبور شاهين، **تاريخ القرآن**، (الجيزة: نهضة مصر، ط4، 2005م)، ص98.

الخاتمة

هنا يود الباحث الإشارة إلى أهم النتائج التي توصل إليها بعد الانتهاء من هذا البحث، وهي:

1. نقل أغلب المفسرين الروايات الضعيفة في مسألة تحريف عبدالله بن سعد ابن أبي سرح للنص القرآني بدون تفنيدها أو الرد عليها، وأنه قد نزلت فيه عدد من الآيات القرآنية ولا سيما من سورة الأنعام، والنحل، والأنفال، والمؤمنون. والغريب أن شيخ المفسرين الطبري بعد أن أخرج عددًا من تلك الروايات المتناقضة والضعيفة في الوقت نفسه، قد أخذها على ظاهرها، وزعم أنه: لا تمانع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: إني قد قلت مثل ما قال محمد، وأنه ارتد عن إسلامه، ولحق بالمشركين، وهو زعم باطل.

2. تختلف هذه الروايات الضعيفة في تحديد سبب ردة ابن أبي سرح، فمرة تجعل سبب ذلك موافقة النبي ﷺ على تغييره لعدد من فواصل الآيات، في حين ترجع روايات أخرى سبب ذلك إلى نطقه بخاتمة الآية (14) من سورة المؤمنون، وأمر النبي ﷺ له بكتابتها كما نطق بها لأنها هكذا أنزلت عليه.

3. لم ترد في كتب التفسير رواية صحيحة واحدة تثبت تحريف عبدالله ابن أبي سرح للنص القرآني.

4. اختلطت على بعض المفسرين الآيات التي قيلت إنها نزلت فيه، فنسبوا القصة نفسها إلى أكثر من آية قرآنية نظرًا لتشابهها، ولا سيما بداية الآيات، كما هو الحال مع ابن أبي حاتم عندما ذكر ذلك مع الآية (21) من سورة الأنعام، ومع الآية (93) من السورة نفسها، ثم مع الآية (17) من سورة يونس نظرًا لتشابه الآيات الثلاث إلى حد كبير.

5. لم يتفق المفسرون الذين ذكروا أن جزءًا من الآية 93 من سورة الأنعام نزلت في ابن أبي سرح على ذلك، بل ذكر أغلبهم أسماء أخرى مع الآية كمسيلمة أو النضر بن الحارث أو غيرهما.

6. ما قاله المفسرون من نزول عدد من الآيات فيه ولا سيما من الأنعام أو النحل أو الأنفال، يخالف السياق العام للآية والآيات التي تليها، إذ يتضح أن ما ذكر في السياق لا ينطبق على شخص مثل ابن أبي سرح كونه تاب ورجع إلى الإسلام.

7. نسب مفسرون عُرفوا بالضَعف والوضع والكذب أمثال الكلبي ومقاتل أمورًا كثيرة إلى ابن أبي سرح وهي لا تثبت أمام النقد العلمي الصحيح، فمرة نجد ابن أبي سرح ضمن المنافقين الذين هموا بقتل النبي ﷺ في تبوك، ومرة أخرى ضمن الآلة الإعلامية للمنافقين في المدينة وهو يبث الإشاعات، ويمارس مع غيره من المنافقين حسب زعمهم الحرب النفسية تجاه المسلمين بعد معركة مؤتة، ومرة أخرى نجده ضمن المراسلين لمشركي مكة للمكر بالنبي ﷺ، وهلم جرا...مما لا أصل له من الصحة، ناهيك عن مسألة التحريف.

8. نقل مفسرون معاصرون هذه الروايات والأخبار الساقطة في تفاسيرهم من دون تفنيد مثل الشعرواي وسيد قطب وسعيد حوى وغيرهم، في حين ردها آخرون أمثال محمد رشيد رضا وابن عاشور التونسي ومحمد عزة دروزة.

9. يعد ابن تيمية من أكثر من كتب عن مسألة تحريف ابن أبي سرح للقرآن والروايات التي وردت فيه مقارنة بغيره من العلماء المتقدمين. ولكن المؤسف له أنه قد أخذ تلك الروايات على ظاهرها وكأنها صحيحة. ونسب مسألة التحريف والافتراء وغير ذلك إلى ابن أبي سرح -في حال ردته- وهو بريء من ذلك.

10. تعامل العلماء مع كثير من الأمور التي قيلت عن ابن أبي سرح وهي لا أصل لها بهذا الشكل، يرجع إلى مسألة ردته، وإلى قربه من عثمان بن عفان، وولايته على مصر في العهد الذهبي للخلاف السياسي الإسلامي الذي ظهر بين المسلمين، ولا سيما أن من جملة الأمور التي نقم الثوار بها على عثمان مسألة ولايته على مصر، وعزله عمرو بن العاص، فالسياسة فعلت فعلها في هذه المسألة، ناهيك عن الخلاف المذهبي.

11. وأخيرًا يظهر جليًا أن المفسرين قد تساهلوا مع بعض المسائل الخطيرة، منها نقل هذه الروايات الضعيفة[136] في هذه المسألة الحساسة من دون بيان ضعفها إلا نادرًا، والأخطر أن كثيرًا منهم قد بنى عليها نتائج وكأنها صحيحة وعلى رأسهم شيخ المفسرين الطبري، مع أنها تخالف مسلمات معروفة في الإسلام، وهي أن النبي ﷺ معصوم عن السهو والغفلة فيما يرجع إلى التبليغ.

[136] وقد ذكرنا ما قاله علماء الجرح والتعديل في كثير من الرواة الذين عرفوا بالضعف، والذين وردت أسماؤهم في تلك الروايات من أمثال: سنيد بن داود، وأحمد بن عبدالجبار، وابن حميد، وأبو خلف الأعمى وغيرهم، فضلا عن كثير من المختلف فيهم، ناهيك عن بعض المؤرخين المعروفين بالضعف والوضع من أمثال الواقدي، وكذلك بعض المفسرين الذين عرفوا بالكذب ووضع الأخبار من أمثال الكلبي ومقاتل بن سليمان.